

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة العدد ١٤٠ صفر ١٤٣٦ هـ

اليهود يعتدون والفرق الضالة تنهشنا

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة







رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٤٠)
صفر - ١٤٣٦ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

اليهود يعتدون والفرق الضالة تنهشنا

تتصاعد الاعتداءات اليهودية والصهيونية على المسلمين في غزة وسيناء وتتواصل جرائم اليهود والمستوطنين وممثليهم في الحكومة والبرلمان على المسجد الأقصى والمرابطين فيه، في ظل تفاقم وتضاعف العدوان المستمر للفرق الضالة على الأمة الإسلامية في عدد من البلاد.

ومما يزيد المشهد بؤساً وسخرية زعم قادة وخطباء الفرق الضالة أن تحرير فلسطين والأقصى هو هدفهم، وهو سبب ما يقومون به من عمليات وتفجيرات وصدامات!!

فها هم الشيعة من مختلف الأقطار وبزعامة إيران لا شعار لهم إلا (الموت لأمريكا والموت لإسرائيل)، ومنذ ٣٥ عاماً لم يتجاوز قتلى الأمريكان واليهود على يد الشيعة والإيرانيين بضعة مئات، إلا أن عدد القتلى على أيديهم من المسلمين في إيران والعراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين والسعودية والكويت يقرب من مليون!! ومن الفلسطينيين وحدهم قتل الشيعةُ منهم عدة آلاف في مخيمات لبنان على يد حركة أمل، وفي حي البلديات ببغداد على يد الميلشيات الشيعية، وفي مخيم اليرموك بدمشق على يد شبيحة الأسد وجيشه، ثم يتشدقون ويكذبون بملء أفواههم أنهم المجاهدون الحقيقيون لنصرة فلسطين وأهلها والقدس والأقصى.

والثمرة الحقيقية هي أن جرائم الشيعة تجاه المسلمين في عدد من البلاد تعد أكبر مشغلة لهم عن العدوان اليهودي بحق المسلمين والمسجد الأقصى، ولن يجد اليهود وإسرائيل وسيلة إلهاء لشغل المسلمين عن جرائمها ووحشيتها، أفضل ممّا يقوم به الشيعة.

كان العرب يعولون على العراق وسوريا لنصرة فلسطين، وكانوا يخافون من التدمير اليهودي لهما، فتكفل الشيعة بهذه المهمة، حتى أصبحا في حالة يرثى لها من الدمار والخراب والفشل والتفتت.

ورغم أن الشيعة يتسللون إلى البلاد السنية تحت ستار الوحدة الإسلامية، إلا أن التفريق والانقسام هو ما حققوه بجدارة وسابق تخطيط، فهم باسم الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب تسللوا لصفوفنا واستمالوا بعضاً من المسلمين، ثم جعلوا لهؤلاء المتشيعة والشيعة الأصليين مراكز للقوة والتأثير، ثم فصلوهم عن بقية المجتمع باسم الأوقاف الشيعية والمجالس الحسينية في الجانب الديني، ثم تمددوا في الساحة السياسية فكوّنوا لهم هيئات وأحزاباً طالبت بداية بكوتا لأنهم أقلية، ثم تضخم وزنهم السياسي باستخدام السلاح، واختطفوا اللعبة السياسية تحت شعار الثلث الضامن /المعطل في لبنان، أو المطالبة بالحقوق في البحرين، أو الأغلبية المظلومة في العراق، أو عجز الدولة في اليمن، فكانت المحصلة تفتيت المفتت، وتجزئة المجزأ، وعاشت شعارات الوحدة والأخوة الإسلامية، التي يجترها الأغبياء من المسلمين للآن!!

وأيضاً نجد اليوم الإباضية أحفاد الخوارج الأولين، ماضين بقوة لدعم وتمرير التسلل الإيراني الشيعي لداخل الجزيرة العربية، إما باتفاقيات ثنائية اقتصادية وسياسية، أو برعاية المفاوضات الأمريكية الإيرانية مع تهميش شركائها في مجلس التعاون!!

وبرغم أن عُمان جزء من مجلس التعاون الخليجي، إلا أنها ترفض وبشدة مواصلة الطريق للوحدة الكاملة، وتهدد بالانفصال إذا فرضت الوحدة!!

والعجيب هو هذا التناغم العجيب بين الرافضة والخوارج، برغم التاريخ الطويل من الصدام والقتال بسبب التناقض الكامل في الأسس والمنطلقات العقدية.

لكن يبدو أن عداوتهم للمسلمين تفوقت على عدائهما لبعضهما البعض، فمتى يفيق المسلمون لما يجري حولهم، ويدركون خطورة الفرق الضالة على دينهم ودنياهم؟

أما الخوارج الجدد من تنظيم داعش وجماعات التطرف كالقاعدة والسلفية الجهادية، فهي مصيبة جديدة تتزيا بزي الدين والالتزام، لكنها تورطت في التكفير

للخصوم ثم القتل والتفجير والتنكيل، فضلا عمّا جلبته من كوارث ومحن للأمة، وكل هذا بسبب الجهل والطيش والتهور وقلة الخبرة عند المخلصين، وبسبب الخيانة والعمالة للمدسوسين بينهم وخاصة على مستوى القيادات.

فقد هب هؤلاء الشباب غالبا ونواياهم سليمة لدينهم وأمتهم، بل قاموا لخدمتها ونصرتها والدفاع عنها، لكن ضلت بهم الطريق فقد خدعهم العملاء أصحاب اللحى من عناصر الاستخبارات من عدة دول، فاصطدموا بالمسلمين من شعوبهم بدلا من المعتدين من الكفار، وما نعايشه اليوم في سوريا أصدق شاهد على ما نقول، فقد حاربت داعش فصائل المجاهدين أكثر من حربها للنظام النصيري، وقُتل من الثوار والمجاهدين أضعاف أضعاف الشبيحة، واحتلت من أراضي الثورة أكثر بكثيرٍ مما أخذت من النظام، وللأسف يبدو أن جبهة النصرة بدلاً من أن تتعلم من جرائم داعش، أخذت تقلدها، وهي في سبيلها لإعلان إمارتها الخاصة وتكرار كل خطايا داعش!!

وحين هبّ الشباب للجهاد كانوا يحلمون بنصرة الأقصى وحرب اليهود، والصراع مع الصليبيين الذين يدعمون إسرائيل، ومقاومة الرافضة الذين يعتدون على المسلمين.

لكن شياطين الإنس والجن صرفوهم عن مرادهم، ورتبوا لهم أولويات جديدة، تبدأ بحرب الأنظمة السنية وتكفير المجتمعات الإسلامية، قبل الحرب والجهاد لليهود، ولا مانع من السلم مع الرافضة حاليا واللجوء إلى ديارهم، حتى تترتب أمورهم.

ثم تطور بهم الحال حين فضحهم العدوان الإسرائيلي المتكرر على غزة، ولم يتحرك الرافضة من إيران وحزب الشيطان، ولا تحركت القاعدة ولا نطق خليفة داعش، فتفتق لهم الشيطان عن مبرر عجيب، وهو: أن الأولوية في القتال هي لقتال حركة حماس المرتدين في غزة، ثم نحارب اليهود، ولا أظن أن اليهود بحاجة إلى أصدقاء إذا كان هذا منطق وأولوية أعدائهم من المجاهدين زعموا!!

ولا يتوقف هدم الفرق الضالة لنسيج الأمة عند هؤلاء، بل نجد اليوم نشاطاً محموماً لفرقة الأحباش الضالة لنشر بدعها وخرافاتها بين العامة، وهي التي رعتها المخابرات السورية طيلة عقود في بيروت، ثم تحالفت مع حزب الله بعد خروج السوريين من لبنان، وبعد أن كانت محصورة في لبنان، أصبح لها حضور في عدد من البلاد العربية والأوربية.

وأيضا الأحمديون القاديانيون المرتدون، فهم بترديد الشهادتين وقراءة القرآن الكريم ومشابهة المسلمين في الشكل يخدعون بعض البسطاء والجهلة من المثقفين! عبر قناتهم الفضائية أو دُعاتهم، وزيادة على كفرهم بادعاء النبوة لزعيمهم وتحريف معاني القرآن، فهم طابور خامس لليهود، ويحظون بكل رعاية واهتمام من قيادة إسرائيل التي تحتضن مركزا مهما لهم في منطقة الكبابير داخل منطقة الـ ٤٨.

ويلحق بهم شياطين الإلحاد وعبدة الشيطان وأتباع الإيمو وأمثالها من الصرعات الفكرية أو الكفرية لا فرق، كل هؤلاء ينخرون في صلب أمتنا الرخو – وللأسف- وهم يزعمون أنهم لا يهدفون إلا إلى نصرتها وحمايتها أو الخروج بها من وهدة الضعف والتخلف والخرافة! وأن السعي لتحرير فلسطين أمنيتهم الكبرى.

إلا أن الحصيلة الحقيقية لسعي هؤلاء وأشباههم ما هو إلا زيادة ضعف الأمة وبلبلة صفوفها، وزرع الخلافات والنزاعات في ربوعها وأرجائها، أو تسهيل تغلغل الأعداء بين صفوفنا عبر علاقاتهم المشبوهة مع الكثير من الجهات المعادية.

وعلى الصعيد الخارجي فهذه الفرق تشغلنا بصد عدوانهم المعنوي ببث الشبهات والشكوك وزرع خلايا فاسدة في مجتمعاتنا، أو صد عدوانهم الإجرامي الدموي على أطفالنا ونسائنا ورجالنا، والذين سالت دماؤهم على أيديهم حتى تجاوز القتلى منا على أيديهم أضعاف أضعاف ما قتل اليهود منا!! ناهيك عن مئات الآلاف من المعتقلين والجرحى والمصابين.

شغلت هذه الفرق الضالة بعدوانها الكثيرَ من المسلمين عن مقاومة العدوان اليهودي المتواصل والمتكرر، لأنهم مشغولون بحماية أنفسهم، فأهل سوريا والعراق واليمن ولبنان وغيرهم مشغولون بحماية أنفسهم عن نصرة إخوانهم في فلسطين اللذين يعتدي عليهم اليهود، ولانشغال العالم بجرائم داعش تستمر إسرائيل بالعدوان على الأقصى وغزة، وتحتج إسرائيل بما تمتاز به من كذب وخبث بجرائم وغلو داعش لإدانة جهاد ومقاومة الفلسطينيين وأنهم يصدرون عن مشكاة واحدة.

والواجب على العقلاء من المسلمين الانتباه لخطورة الفرق الضالة على المسلمين وأنها تخدم المشروع اليهودي الصهيوني، ويجب التوبة علنا من دعوات البعض سابقا للتحالف مع أهل الضلال سواء الشيعة أو الغلاة، فمقاومة أهل البدع خطوة لازمة لمقاومة اليهود، وأن التصدي للخطر اليهودي لابد أن يبقى قائما ولا نتشتت عنه بمقاومة عدوان أهل الضلال.

الخلاصة: سبيل النبهاء والفطناء المزاوجة بين صد ضلال وعدوان الضُلال المبتدعة من كل الأطياف في الداخل، وعدم الغفلة عن جرائم وكيد اليهود والصهيونية وغيرهم من أعداء الأمة في الخارج.

«حركة صابرين» في غزة... التشيع في عباءة المقاومة

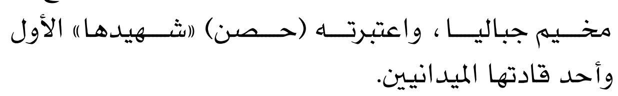
معتز بالله محمد(*) – خاص بالراصد

يُنظر لقطاع غزة على أنه حصن من حصون أهل السنة، فقد ظل بمنأى عن ظهور وتمدد الجماعات والفرق المختلفة، التي غزت معظم البلدان العربية والإسلامية خلال العقود الأخيرة.

لكن بدا واضحا أن الحصار الذي يفرضه كل من الكيان الصهيوني ولحقت به مصر على القطاع - والذي اختلفت حدته على مدى سبع سنوات، منذ سيطرة حركة حماس على القطاع ما بين شديد إلى خانق- لم يحل دون استمرار اختراق المد الشيعي لهذا الحصن، بل إن أغلب الظن أن هذا الحصار كان سببا رئيسيا في زيادة تدحرج العمامة السوداء إلى الداخل الغزاوي.

فمع مقاطعة معظم الدول العربية للقطاع لأسباب سياسية بحتة، وتغاضيها إن لم يكن مشاركتها في تشديد الحصار، وغض الطرف وأحيانا الموافقة تلميحا على الجرائم الصهيونية، وجدت إيران طريقها لقلوب الكثير من سكان القطاع عبر الجمعيات الخيرية التي تقدم المعونات أو من خلال دعمها لحركات المقاومة، لاسيما حركة الجهاد الإسلامي، وهو ما ليس خفيا على أحد.

شكلت هذه الأجواء الأرض الخصبة للتمدد الشيعي الذي عبر عن نفسه كما قلنا عبر العمل الخيري، ليقطع مسافة كبيرة بعد ذلك ويتم الإعلان عن أول جماعة شيعية مسلحة في قطاع غزة، تحمل اسم «حركة الصابرين نصراً لفلسطين» (حصن)، التي ظهرت بشكل رسمي، أواخر مايو بمناسبة تشييع أحد عناصرها، وهو نزار سعيد عيسى الذي قضى بانفجار داخل مخزن للصواريخ في مخيم جباليا، واعتبرته (حصن) «شهيدها» الأول وأحد قادتها الميدانيين.



سالم رأس الأفعى

كثير من قيادات الحركة وعناصر صفها الأول كانوا أعضاء في حركة الجهاد الإسلامي، وفي مقدمتهم أمينها العام هشام سالم، والذي تحدث خلال حفل تأبين عيسى قائلا: «لسنا بديلاً لأحد، بل مكملين للجميع في هذا الطريق الشاق والطويل».

ويقول سالم الذي يعمل مدرسا حكوميا في حديث مع صحيفة «دنيا الوطن» الالكترونية

(*) كاتب مصري.

الفلسطينية بتاريخ ١- ٦- ٢٠١٤ إن الحركة- التي تتخذ شعارا مشابها إلى حد بعيد لشعار «حزب الله» اللبناني- هي حركة فلسطينية وطنية مقاومة، هدفها مقاومة المحتل ودحره عن الأراضي الفلسطينية من البحر إلى النهر. ونفى أن تكون الحركة تتبع المذهب الشيعي قائلا: «نحن نؤمن بالوحدة الإسلامية لا نؤمن بالتشرذم، ففي وحدتنا واعتصامنا بالله قوة، أما من يرموننا بأننا، نتبع المنهج الشيعي إنما هم يخدمون الأعداء الصهاينة وقوى الاستكبار العالمي لكننا نؤكد أننا حريصون على الوحدة الإسلامية».

لكن وبتحليل مضمون هذا التصريح يتضح أنه لا يحوي نفيا قاطعا وإنما يأتي من باب المواربة وربما ممارسة التقية، وهو ما يؤكده الحوار الذي أجرته صحيفة «الأخبار» اللبنانية قبل يوم واحد من الحوار السابق أي بتاريخ ٣١ مايو ٢٠١٤ مع المتحدث باسم الحركة المعروف بـ «أبو يوسف» حيث قال: «موقفنا الداخلي لا يمنع أياً من عناصرنا من حرية اختيار مذهبه الذي يتعبد عليه الله في إطار المذاهب المتعارف عليها في الشريعة الإسلامية، لكن إبراز هذا الموضوع على أنه مشكلة هو أسلوب الذين يتعاملون بسياسة الاصطياد في الماء العكر والبحث عن فتيل الفتن».

حقيقة دامغة

قد يدفع البعض بأنه لا يمكن بحال الإقرار بحقيقة ما اعتمادا فقط على تحليل لتصريح قد يجافي الموضوعية، وربما يكون مبنيا على وجهة نظر شخصية لصاحبه، لكن المفاجأة أن الأمين العام للحركة هشام سالم سبق وأكد بما لا يدع مجالا للشك انتماءه للمذهب الشيعي، عندما كان رئيسا لجمعية «ملتقى الشقاقي» الخيرية والتي سبق وأحيت ذكرى قيام ما يسمى بالثورة الإسلامية في إيران، شمال القطاع.

ففي تحقيق صحفي لموقع قناة «فرانس برس» منشور بتاريخ ٦- ٤- ٢٠١١ حول المد الشيعي في القطاع التقى المراسل به، حيث أكد سالم أن جمعيته «تتلقى دعمها المالي من إيران» التي زارها في ٢٠٠٧ مضيفا «أتحدث أحيانا باسم الشيعة في النقاشات فأنا مقتنع بما يطرحه المذهب الشيعي ولا نعتبر هذا جريمة لكن مذهبي علاقة مع الله»، فضلا عن المقاطع الكثيرة له في موقع يوتيوب والتي يمجد فيها الخميني وخامنئي على الطريقة الشيعية.

وتشير المصادر إلى أن سالم كان أحد المسئولين البارزين في حركة الجهاد الإسلامي المعروفة بعلاقتها الوثيقة مع إيران، واعتقلته حركة حماس في مارس ٢٠١٣ بتهمة جمع الأموال لإحدى الجمعيات الخيرية.

وبحسب القناة تحوي غرفة الاستقبال في منزل سالم «صورا كبيرة للإمام الخامنئي وأخرى لحسن نصر الله وثالثة لفتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي التي كان ينتمي إليها قبل أن ينفصل عنها قبل خمسة أعوام «بسبب إشكاليات تنظيمية من طرف الحركة»، ولا يمكن الجزم هل هذا الفصل هو نوع من التكتيك للحفاظ على سمعة حركة الجهاد من أن توصف بالعمالة لإيران والتشيع، أم هو صراع داخلي على من يخدم إيران أكثر!

وخلال اللقاء اتهم سالم حركتي حماس والجهاد الإسلامي بـ «التقصير تجاه الشيعة»، مضيفا أن الحركتين أكثر من تعامل مع إيران ومن ثم فإن «الواجب الأخلاقي يحتم عليهما أن تتصديا للمغالطات ضد الشيعة في القطاع». زاعما أن طهران هي «أكثر من قدم دعما سياسيا وعسكريا وماليا للقضية الفلسطينية من أجل تحريرها من الكيان الصهيوني».

مجلس شورى الحركة

وبخلاف سالم فإنه لا يُعرف الكثير عن قادة هذا التنظيم المسلح، كما لم تكشف الحركة عن حجمها أو قدر الأسلحة التي تمتلكها، فيما يدور الحديث عن قيام محمود جودة القائد السابق لجماعة التكفير والهجرة في غزة بلعب دور كبير في التنظيم، وذلك بعد أن أعلن تشيعه قبل سنوات بزعم انتسابه لآل البيت، وتصدره للمشهد الشيعي في القطاع.

كما كشفت «الأخبار» اللبنانية عن بعض تفاصيل آلية عمل «الصابرين»، وذلك على لسان

أمين مجلس الشورى بالحركة، وكنيته «أبو محمد» المطلوب لإسرائيل منذ ١٨ عاما حيث يقول: «هناك مجلس شورى يتخذ القرار في التنظيم. وهذا المجلس ليس جديداً، لكنه تأخر في الإعلان لظروف معينة سبقتها مرحلة كمون طويلة».

حماس وضبابية الموقف

ولا يُعرف تحديدا طبيعة العلاقة بين حركة حماس وبين «الصابرين»، بحكم أن الواقع الأمني في غزة يفرض على أي فصيل عسكري أو سياسي التنسيق مع حماس كونها تمسك بزمام الأمور هناك، إضافة إلى أنها أكبر فصائل المقاومة.

ورغم تأكيد مصادر أمنية في القطاع أن أجهزة الأمن التابعة لحماس ألقت القبض على عدد من عناصر الحركة فور الإعلان عن نفسها في أعقاب مقتل «نزار عيسى» أثناء إعداده عبوة ناسفة، إضافة إلى محاولتها تضييق الخناق على الشيعة ومداهمة منازلهم واعتقال من تثبت إدانته بنشر التشيع، نقلت «الأخبار» اللبنانية عمن وصفتها بـ «مصادر أمنية مطّلعة على التنسيق بين الفصائل الفلسطينية» أن جلسة عُقدت بين «الصابرين» والمعنيين في حركة «حماس» لترسيم وضع الأولى بصفتها حركة فلسطينية مقاومة ستعمل انطلاقاً من قطاع غزة، على أن تلتزم الإطار العام للتفاهمات بين التنظيمات العاملة.

هذه الضبابية تطرح تساؤلات مشروعة حول ما إذا كانت عودة التقارب الذي حدث بين حماس وإيران في أعقاب سقوط نظام الإخوان المسلمين في مصر، وتشديد الحصار على القطاع قد دفع بحماس للقبول بظهور مثل هذه الحركات الشيعية علنا؟ وإلا فلماذا لم تفتح تحقيقا موسعا في الأمر، مع قادة «الصابرين» المعروفين كهشام سالم، وتضع جماهيرها أمام الحقيقة كاملة؟

الخروج من الظل

انتشار التشيع في غزة بدأ بشكل سري خلال السنوات الماضية، ثم بدأ الكثيرون يعلنون تشيعهم. ويلقي تقرير لوكالة «فرانس برس» بالضوء على هذه الظاهرة، لافتا إلى أن الشيعة في غزة يعتبرون أنفسهم امتدادا لإيران و«حزب الله»، كما يعتبرون إيران مرجعيتهم.

وفي تقريرها المنشور في أبريل ٢٠١١، نقلت الوكالة عن عبد الرحيم حمد، الذي أعلن تشيّعه عام ٢٠٠٦، قوله إنَّ المستقبل للشيعة، وإن حزب الله هو من سيحرر فلسطين ولن يكون للسنة دور في هذا النصر». مضيفا «نحن الآن في طور الإعداد في غزة، عددنا بلغ المئات، وسنبدأ بالقيام بنشاطات سياسية قريباً».

مجموعات عماد مغنية

الجديد بالذكر أنه خلال عام ٢٠٠٨ ظهرت مجموعة مسلحة في قطاع غزة حملت اسم «مجموعات عماد مغنية» نسبة للقائد بـ «حزب الله» الذي يُتهم الموساد الإسرائيلي باغتياله في سوريا، وكانت هذه الحركة تتبع «كتائب شهداء الأقصى» التي تتبع بدورها حركة فتح.

واعترف قائد هذه المجموعات سالم ثابت في حديث لصحيفة الشرق الأوسط اللندنية آنذاك بأن مجموعاته تتلقى دعما مباشرا من «حزب الله». وردا على سؤال حول شكل هذا الدعم؟ قال: «مادي ولوجستي».

استهداف الأطفال

لا شك أن الشيعة نجحوا في اختراق قطاع غزة عبر بوابة الجمعيات الخيرية كما أسلفنا في البداية، وكما اعتادت إيران أن تفعل في كل المجتمعات السنية. وكشف تقرير مصور لقناة العالم الإخبارية التابعة لإيران، عن حجم الخطر الذي تشكله هذه الجمعيات التي باتت تستهدف النشء الصغير وتربطه بإيران.

ويظهر في التقرير الذي تم تصويره قبل شهور قليلة في مخيم صيفي لأبناء الشهداء في غزة- نظمته جمعية دار الهدى بدعم من لجنة إمداد الإمام الخميني الإيرانية التي تحرص على دعم إقامة مثل هذه الأنشطة- أطفال يقولون «نشكر الجمهورية الإسلامية» ولجنة الإمداد والإمام الخميني. في مشهد ربما يكشف نتائج التخلي العربي والإسلامي السني عن القطاع المحاصر، وتركه على طبق من ذهب لإيران بأموالها ومخططاتها لتفعل به ما تشاء.

الوجه الآخر
١٣- جعفر السبحاني

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة لتبسط حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها وفكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر الشيخ جعفر السبحاني من الوجوه البارزة في دعوة التقريب بين السنة والشيعة ومؤتمرات الوحدة الإسلامية، وصار وجهاً مألوفاً في بعض الدول السنيّة كالأردن والمغرب وتركيا، وهو ما أدى إلى انخداع بعض السنة بشخصيته، لا سيما وأن السبحاني انتهج منهج البحث والتحقيق، وأسس مؤسسة متخصصة لذلك، ما أدى إلى ظهوره بمظهر العالِم الجاد والمنصف الباحث عن الحقيقة والدليل، يُضاف إلى ذلك صدور بعض الكتابات والفتاوى منه يخالف فيها آراء الشيعة وعقائدهم.

لكن الصورة التي نحن بصدد عرضها عن السبحاني «أشمل» من مجرد عبارات جميلة حول التقريب والوحدة بين المسلمين، أو فتاوى هنا وهناك تنفي ما عليه الشيعة من بدعة وانحراف، إذ تطفح كتابات الرجل بعقائد الشيعة وانحرافاتهم، والإساءة إلى أهل السنة وعقيدتهم.

أولاً: حياته ونشأته

ولد الشيخ جعفر بن محمد حسين السبحاني الخياباني التبريزي في مدينة تبريز الإيرانية في سنة ١٣٤٧هـ (١٩٣٠م)، وفيها نشأ، ودرس في حوزتها على يد عدد من شيوخ الشيعة، ومنهم والده. وفي الرابعة عشرة من عمره دخل المدرسة الطالبية في تبريز ودرس فيها مرحلتي المقدّمات والسطوح. وقد استمرت فترة دراسته هذه خمس سنوات (أي إلى عام ١٣٦٥هـ).

وبسبب الاضطرابات التي قامت في تلك الفترة في محافظة أذربيجان، التي تعتبر تبريز أهم مدنها، انتقل في العام التالي إلى مدينة قُم، وواصل دراسته هناك على يد عدد من شيوخها مثل: محمد حسين البروجردي ومحمد الحجة الكوهكمري ومحمد حسين الطبطبائي وروح الله الخميني.

وإضافة إلى الدراسة، مارس السبحاني التدريس في قُم، وطُبعت محاضراته ودروسه في كتب مستقلة، كما أنه أصدر – مع آخرين- مجلة باللغة الفارسية تسمى «درسهاى از مكتب اسلام»

(*) كاتب أردني.

أي: «دروس من مكتب الإسلام» وهي مجلة شهرية، صدر العدد الأوّل منها في جمادى الأُولى عام ١٣٧٨هـ، وما زالت تصدر إلى الآن.

وفي سنة ١٤٠٠هـ، أسس السبحاني في مدينة قم «مؤسسة الإمام الصادق» وهي مؤسسة ثقافية تربوية يتركز نشاطها في مجالات التأليف والتحقيق وتربية الكوادر المتخصصة في علم الكلام.

وللسبحاني عدد كبير جداً من المؤلفات، منها: الأئمة الإثنا عشر، سيرة الأئمة عليهم السّلام، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، عدالة الصحابة بين العاطفة والبرهان، الوهابية في الميزان، الخمس في الشريعة الإسلامية الغراء، مع الشيعة الإمامية في عقائدهم[١]..

الوجه الآخر

عند البحث في سيرة السبحاني ومؤلفاته، يتضح مدى التزامه بعقيدته والدعوة إليها، وتزيين ما بها من باطل، والانتقاص من مذهب أهل السنة، ومن الصحابة والتابعين والعلماء، ومن ذلك:

١- مشاركته في صياغة القانون الأساسي في إيران بعد قيام الثورة سنة ١٩٧٩م[٢]:

ومعروف ما احتواه الدستور الإيراني من طائفية وإصرار على تبني التشيع، فقد نصت إحدى مواده على أن «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام، والمذهب الجعفري الإثني عشري، وهذا الأصل يبقى إلى الأبد غير قابل للتغيير».

ويلفت الشيخ الدكتور ناصر القفاري إلى أن الدستور الإيراني لم يعترف بسنة النبي صلى الله عليه وسلم فضلا عن أن يجعلها من مصادر التشريع، فقد جاء فيه: «يقوم نظام الجمهورية الإسلامية على أساس الاجتهاد المستمر من قبل الفقهاء جامعي الشرائط على أساس الكتاب **وسنة المعصومين** سلام الله عليهم أجمعين»[٣].

ولا عجب أن يحوي الدستور هذه الطامات، ففي كتب السبحاني ما يؤيد ما جاء في المادة المُشار إليها آنفاً، مِن أن مرجع الشيعة بعد القرآن الكريم هو آئمة أهل البيت، وليس السنة النبوية، يقول السبحاني:

«... إلاّ أنّ الأمر الجدير بالذكر هو أنّ المرتكز الأساسي لبناء العقيدة الخاصّة بالشيعة الإمامية هو الاعتقاد بأنّ الإمام عليّاً منصوص عليه بالوصاية على لسان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّه وعترته الطاهرة هم **المرجع الأعلى** بعد الذكر الحكيم»[٤].

٢- رأيه في الإمامة

يرى جعفر السبحاني أولاً أن الإمامة منصب إلهي، كما في قوله: «إنّ تقييم الأوضاع السياسية داخل المنطقة الإسلامية وخارجها في عصر الرسالة يقضي بأنّ خليفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم **لابدّ أن يعيَّن من جانب الله تعالى**، ولا يصحّ أن يوكل هذا إلى الأمّة؛..»[٥].

ويقول: «هناك أخبار وروايات وردت في المصادر المعتبرة تثبت صحّة الموقف والرأي الذي ذهب إليه علماء الشيعة وتصدّقه، فقد نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مراراً وتكراراً، وأخرج موضوع الإمامة من مجال الانتخاب الشعبي والرأي العام»[٦].

ويعتقد السبحاني -كما هي عقيدة الشيعة- بعصمة أئمتهم، وينقل هنا رأي شيخ الطائفة الطوسي، فيقول:

«يجب أن يكون الأئمّة معصومين مطهّرين من الذنوب كلّها، صغيرة وكبيرة، عمداً وسهواً ، ومن السهو في الأفعال والأقوال، بدليل أنّه لو فعلوا المعصية لسقط محلّهم من القلوب، وارتفع الوثوق،

(١) الموقع الرسمي للسبحاني على شبكة المعلومات (مؤسسة الإمام الصادق).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أصول مذهب الشيعة، ناصر القفاري، دار الرضا، الجيزة، الطبعة = الثالثة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ١٤٢٢.

(٤) جعفر السبحاني، مع الشيعة الإمامية في عقائدهم، نسخة إلكترونية على الموقع الرسمي للسبحاني، ص ٤.

(٥) جعفر السبحاني، الأئمة الإثنا عشر، ص ٢٨، نسخة إلكترونية.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٢.

وكيف يهدون بالضالّين المضلّين، ولا معصوم غير الأئمّة الإثني عشر إجماعاً، فثبت إمامتهم»[1].

٣- موقفه من الصحابة والتابعين

يحمل السبحاني موقفا سلبيا من الصحابة رضي الله عنهم، فمِن ذلك تشكيكه بمغفرة الله لأهل بدر، الذين ذكرهم النبي ﷺ في الحديث (... لعلّ الله اطّلع على أهل بدر، فقال: اعمَلوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، ..)، إذ يقول السبحاني:

«هذا الحديث وإن أخرجه البخاري وأسنده إلى عليٍّ عليه السَّلام ولكنّنا نجلّ الإمام أمير المؤمنين عليّاً عليه السَّلام عن رواية هذا الحديث عن رسول اللّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فانّ مضمونه يشهد على كذبه، إذ كيف يمكن للنبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يُعطي الضوء الأخضر لجماعة من الصحابة يناهز عددهم الثلاثمائة، ويسمح لهم أن يفعلوا ما يشاؤون، وإن اقترفوا الكبائر وارتكبوا المعاصي وإن سفكوا الدماء وخضبّوا بها وجه الأرض»[2].

ويتهم معاويةَ بن أبي سفيان رضي الله عنه بالكذب والغدر، في أعقاب الصلح الذي أبرمه مع الحسن بن علي رضي الله عنهما، إذ يقول السبحاني: «ولمّا تمّ الصلح صعد معاوية المنبر وقال في خطبته: إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. ألا وإنّي كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدميّ هاتين لا أفي بشيء منها له»[3].

واستمر حقد السبحاني ليشمل من جاء بعد الصحابة من التابعين وأتباعهم، منتقدا أهل السنة أنهم استندوا في التفسير على أقوالهم، فيقول:

«لكن المؤسف أنّ أهل السنّة والجماعة لم يعتمدوا في تفسير كتاب الله العزيز على أقوال أئمّة أهل البيت وهم قرناء القرآن وأعداله والثقل الآخر من الثقلين، وإنّما استعانوا في تفسيره بأُناس لا يبلغون شأوهم ولا يشقّون غبارهم، نظراء مجاهد بن جبر (المتوفّى عام ١٠٤هـ)، وعكرمة البربري (المتوفّى عام ١٠٤هـ)، وطاووس بن كيسان اليماني (المتوفّى عام ١٠٦هـ) وعطاء بن أبي رباح (المتوفّى عام ١١٤هـ)، ومحمّد بن كعب القرظي (المتوفّى عام ١١٨هـ)، إلى غير ذلك من أُناس لا يبلغون في الوثاقة والمكانة العلمية معشار ما عليه أئمّة أهل البيت صلوات الله عليهم...»[4].

٤- رأيه في التقية

يقدم السبحاني صورة «وردية» للتقية، فإضافة إلى ما درج عليه الشيعة من القول بأنهم لجأوا للتقية بسبب ما عانوه من اضطهاد على مرّ العصور، يزعم السبحاني أن التقية كانت لغايات نزيهة! وحرصاً من الشيعة على وحدة المجتمع الإسلامي، وحفظا للود الذي بينهم وبين بقية المسلمين، فيقول:

«أضحت شيعة الأئمة من آل البيت مضطرة في أكثر الأحيان إلى كتمان ما تختصّ به من عادة أو عقيدة أو فتوى أو كتاب أو غير ذلك، تبتغي بهذا الكتمان صيانة النفس والنفيس، والمحافظة على الوداد والأُخوّة مع سائر إخوانهم المسلمين، لئلا تنشق عصا الطاعة، ولكي لا يحسّ الكفار بوجود اختلاف ما في المجتمع الإسلامي، فيوسع الخلاف بين الأُمّة المحمّدية.

لهذه الغايات **النزيهة** كانت الشيعة تستعمل التقيّة وتحافظ على وفاقها في الظواهر مع الطوائف الأُخرى، متّبعة في ذلك سيرة الأئمة من آل محمّد وأحكامهم الصارمة حول وجوب التقية من قبيل: «التقية ديني ودين آبائي»، ...»[5].

٥- رأيه في نشأة التشيع

يقدم السبحاني فكرة مغلوطة لنشأة التشيع،

---

(١) مع الشيعة الإمامية في عقائدهم، ص ٣٠.

(٢) جعفر السبحاني، عدالة الصحابة بين العاطفة والبرهان، نسخة إلكترونية، ص ١٥٨.

(٣) الأئمة الإثنا عشر، ص ٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص ١٤٣.

(٥) مع الشيعة الإمامية في عقائدهم، ص ٧٦.

إذ يربطه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأنه هو الذي أنشأه وغرسه في الناس، إذ يقول: «ليس للشيعة تاريخ غير تاريخ الإسلام وليس له مبدأ ظهور غير مبدأ ظهور الإسلام نفسه، وفي الحقيقة إنّ الإسلام والتشيّع وَجْهان لعُملةٍ واحدةٍ أو وَجهان لحقيقةٍ واحدةٍ، وتوأمان وُلدا في زَمَن واحدٍ»[1]. ويقول: «إنّ التشيُّع ليس وليدَ حوادث السقيفة ولا فتنة مصرع عثمان وغيرها من الأساطير، بل إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بذر بذرة التشيع لأوّل مرة وغرس غرستها في قلوب الصحابة بتعاليمه السماوية المكرّرة»[2].

٦- رأيه في تحريف القرآن

ينفي السبحاني وقوع التحريف أو النقص في القرآن الكريم، وهو يحصر القائلين به من الشيعة بالفرقة الأخبارية، كما يرى بأن بعض ما أدخله الشيعة على الآيات هو من قبيل «التفسير» لها، وليس الإضافة أو الزيادة[3].

وعلى مبدأ «الهجوم أفضل وسيلة للدفاع» يزعم أن أهل السنة أيضا قالوا بالتحريف، كما في قوله: «والعجب انّ أهل السنّة يتّهمون الشيعة بالقول بالتحريف ويشنّون الغارة عليهم، وهم يروون أحاديثه في أصح صحاحهم ومسانيدهم»[4].

الشوكاني والرافضة

د. عمر الأشقر رحمه الله[5] (*) – خاص بـ «الراصد»

العلامة محمد بن علي الشوكاني المولود سنة ١١٧٣هـ والمتوفى سنة ١٢٥٠هـ إمام مجتهد، له باع طويل في علوم الاجتهاد، وقد قضى عمره في التأليف والتدريس والدعوة.

وهذا الصنف من العلماء الذين يسلكون هذا السبيل يُبتلون ويُختبرون، وتلك سنّة الله في عباده الذين سلكوا سبيله، ﴿آلم أحسِب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون﴾ [سورة العنكبوت، ١] وقد حدثنا الشوكاني – رحمه الله – في كتابه (أدب الطلب)[6] عن بعض ما أصابه بسبب اشتغاله بعلوم الاجتهاد، ونبذه التقليد والتعصب المقيت، فقد حسده علماء عصره، وثار ضده المتعصبون الجهلة، واستعْدوا عليه السلطان، وزينوا له سجنه وسفك دمه، ولكنه ثبت ولم تأخذه في الله لومة لائم، فأيده الله ونصره، وأذل من أراد به شراً، ونحن ننقل إليك بعض ما ذكره من تلك الوقائع.

قال الشوكاني: «ولقد اشتدّ بلاهم، وتفاقمت محنتهم في بعض الواقعات، فقاموا قومة شيطانية، وصالوا صولة جاهلية، وذلك أنه ورد إليّ سؤال في شأن ما يقع من كثير من المقصّرين من الذم لجماعة من الصحابة، صانهم الله، وغضب على من ينتهك أعراضهم المصونة، فأجبت برسالة[7] ذكرت فيها ما كان عليه أئمة الزيدية من أهل البيت، وغيرهم، ونقلت إجماعهم من طرق، وذكر كلمات قالها جماعة من أكابر الأئمة، وظننت أن نقل إجماع أهل العلم يرفع عنهم العماية، ويردّهم عن طرق الغواية، فقاموا بأجمعهم، وحرروا جوابات زيادة على عشرين رسالة[8]، مشتملة على الشتم والمعارضة بما لا ينفق إلا على بهيمة، واشتغلوا بتحرير ذلك وأشاعوه بين العامة، ولم

(١) جعفر السبحاني، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، نسخة إلكترونية، ص ١٨١.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨١، ١٨٢.
(٣) جعفر السبحاني، مصادر الفقه الإسلامي ومنابعه، نسخة إلكترونية، ص ٦٩.
(٤) المصدر السابق، ص ٦٥.
(٥) من كتابه: جولة في رياض العلماء.
(*) كاتب أردني.

(٦) ص ٣٠.
(٧) هي رسالته المسماة: إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي.
(٨) جمعت في كتاب بعنوان: إظهار الحبي، وانظر كتاب مصادر الفكر الإسلامي ص ١٤١.

يجـدوا عنـد الخاصـة إلا الموافقـة، تقيـة لـشرهم، وفـراراً مـن معـرتهم، وزاد الـشر وتفـاقم حتـى أبلغـوا ذلـك إلى أربـاب الدولـة والمخـالطين للملـوك مـن الـوزراء وغيرهـم، وأبلغـوه إلى مقـام خليفـة العـصر[1] حفظـه الله، وعظـم القـضية عليـه جماعـة ممـن يتـصل بـه، فمـنهم مـن يـشير عليـه بحبـسي، ومـنهم مـن ينـصح لـه بـإخراجي مـن مـواطني، وهـو سـاكت لا يلتفـت إلى شـيء مـن ذلـك، وقايـة مـن الله وحمايـة لأهـل العلـم، ومدافعـة عـن القـائمين بالحجـة في عبـاده، ولم تكـن لـي إذ ذاك مداخلـة لأحـد مـن أربـاب الدولـة، ولا اتـصال بهـم، واشـتد لهـج النـاس بهـذه القـضية، وجعلوهـا حـديثهم في مجـامعهم، وكـان مـن بـيني وبيـنهم مـودة يـشيرون علـيّ بـالفرار أو الاسـتتار، وأجمـع رأيهـم علـى أنـي إذا لم أسـاعدهم علـى أحـد الأمـرين فـلا أعـود إلى مجـالس التـدريس الـتي كنـت أدرّس بهـا في جـامع صـنعاء، فنظـرت مـا عنـد تلامـذتي، فوجـدت أنفـسهم قويـة، ورغبـتهم في التـدريس شـديدة إلا القليـل مـنهم، فقـد كـادوا يـستترون مـن الخـوف، ويفـرون مـن الفـزع، فلـم أجـد لـي رخـصة في البعـد عـن مجـالس التـدريس، وعـدت، وكـان أول درس عاودتـه عنـد وصـولي إلى الجـامع في أصـول الفقـه بـين العـشائين، فانقلـب مـن بالجـامع، وتركـوا مـا هـم فيـه مـن الـدرس والتـدريس، ووقفـوا ينظـرون إلـيّ متعجـبين مـن الإقـدام علـى ذلـك لمـا قـد قـرر عنـدهم مـن عظـم الأمـر وكثـرة التهويـل والوعيـد والترهيـب، حتـى ظنـوا أنـه لا يمكـن البقـاء في صـنعاء فضلاً عن المعاودة للتدريس.

ثـم وصـل وأنـا في حـال ذلـك الـدرس جماعـة لم تجـر لهـم عـادة بالوصـول إلى الجـامع، وهـم متلفعـون بثيـابهم ولا يعرفـون، وكـانوا ينظـرون إلـيّ ويقفـون قليلاً ثـم يـذهبون، ويـأتي آخـرون، حتـى لم يبـق شـك مـع أحـد أنهـا إن لم تحـصل مـنهم فتنـة في الحـال وقعـت مـع خروجـي مـن الجـامع، فخرجـت مـن الجـامع وهـم واقفـون علـى مواضـع مـن طريقـي، فمـا سمعـت مـن أحـدهم كلمـة فـضلاً عـن غـير ذلـك، وعـاودت الـدروس كلـها، وتكـاثر الطلبـة المتميـزون زيـادة علـى مـا كـانوا عليـه في كـل فـن، وقـد كـانوا ظنـوا أنـه لا يـستطيع أحـد أن يقـف بـين يـدي مخافـة علـى أنفـسهم مـن الدولـة والعامـة، فكـان الأمـر علـى خـلاف مـا ظنـه وكنـت أتعجـب مـن ذلـك وأقـول في نفـسي هـذا مـن صـنع الله الحـسن ولطفـه الخفـي، لأن مـن كـان الحامـل لـه علـى مـا وقـع الحـسد والمنافـسة لم ينـجح كيده بل كان الأمر على خلاف ما يريد.

ومـن عجيـب مـا أشـرحه لـك أنـه كـان في درس بالجـامع بعـد صـلاة العـشاء الآخـرة في صـحيح البخـاري يحـضره مـن أهـل العلـم الـذين مقـصدهم الروايـة وإثبـات الـسماع جماعـة، ويحـضره مـن عامـة النـاس جمـع جـمّ لقـصد الاسـتفادة بالحـضور، فـسمع ذلـك وزيـر رافـضي مـن وزراء الدولـة، وكانـت لـه صـولة وقبـول كلمـة بحيـث لا يخالفـه أحـد، ولـه تعلـق بـأمر الأجنـاد، فحملـه ذلـك علـى أن اسـتدعى رجـلاً مـن المـساعدين لـه في مذهبـه، فنـصب لـه كرسـياً في مـسجد مـن مـساجد صـنعاء، ثـم كـان يـسرج لـه الـشمع الكـثير في ذلـك المـسجد، حتـى يـصير عجبـاً مـن العجـب، فتـسامع بـه النـاس، وقـصدوا إليـه مـن كـل جانـب لقـصد الفرجـة والنظـر إلى مـا لا عهـد بـه، والرجـل الـذي علـى الكرسـي يملـي علـيهم في كـل وقـت مـا يتـضمن الثلـب لجماعـة مـن الـصحابة صـانهم الله، ثـم لم يكتـف ذلـك الـوزير بـذلك حتـى أغـرى جماعـة مـن الأجنـاد مـن العبيـد وغيرهـم بالوصـول إلـيّ لقـصد الفتنـة، فوصـلوا وصـلاة العـشاء الآخـرة قائمـة، ودخلـوا الجـامع علـى هيئـة منكـرة، وشـاهدتهم عنـد

[1] هو المنصور علي بن العباس المتوفى سنة ١٢٢٤هـ.

وصولهم، فلما فرغت الصلاة قال لي جماعة من معاريفي إنه يحسن ترك الإملاء تلك الليلة في البخاري، فلم تطب نفسي بذلك، واستعنت بالله، وتوكلت عليه، وقعدت في المكان المعتاد، وقد حضر بعض التلاميذ وبعضهم لم يحضر تلك الليلة لما شاهد وصول أولئك الأجناد، ولما عقدت الدرس وأخذت في الإملاء رأيت أولئك يدورون حول الحلقة من جانب إلى جانب، ويقعقعون بالسلاح، ويضربون سلاح بعضهم في بعض، ثم ذهبوا ولم يقع شيء بمعونة الله تعالى وفضله ووقايته. ثم أن ذلك الوزير أكثر السعاية إلى المقام الإمامي هو ومن يوافقه على هواه ويطابقه في اعتقاده من أعوان الدولة، واستعانوا برسائل بعضها من علماء السوء، وبعضها من جماعة من المقصرين الذين يظنهم من لا خبرة له في عداد أهل العلم.

وحاصل ما في تلك الرسائل أني قد أردت تبديل مذهب أهل البيت عليهم السلام، وإنه إذا لم يتدارك ذلك الخليفة بطل مذهب آبائه، ونحو هذا من العبارات المفتراة والكلمات الخشنة والأكاذيب الملفقة.

ولقد وقفت على رسالة منها لبعض أهل العلم ممن جمعني وإياه طلب العلم ونظمنا جميعاً عقد المودة وسابق الألفة، فرأيته يقول فيها مخاطباً لإمام العصر أن الذي ينبغي له، ويجب عليه، أن يأمر جماعة يكبسون منزلي، ويهجمون مسكني، ويأخذون ما فيه من الكتب المتضمنة لما يوجب العقوبة من الاجتهادات المخالفة للمذهب، فلما وقفت على ذلك قضيت منه العجب، ولولا أن تلك الرسالة بخطه المعروف لديّ لما صدقت، وفيها من هذا الزور والبهت والكلمات الفظيعة شيء كثير، وهي في نحو ثلاثة كراريس.

وعند تحرير هذه الأحرف قد انتقم منه، فشرده أمام العصر إلى جزيرة من جزائر البحر مقروناً في السلاسل بجماعة من السوقة وأهل الحرف الدنيئة، وأهلكه الله في تلك الجزيرة ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ (سورة الكهف: ٤٩)، وكان حدوث هذه الحادثة عليه ونزول هذه الفاقرة به بمرأى ومسمع من ذلك الوزير الرافضي الذي ألّف له تلك الرسالة استجلاباً لما عنده وطلباً للقرب إليه وتودّداً له.

ومن جملة ما وقفت عليه من الرسائل المؤلفة بعناية هذا الوزير رسالة إلى بعض مشائخي الذين أخذت عنهم بعض العلوم الإلهية، وفيها من الزور ومحض الكذب ما لا يظن بمن هو دونه وما حمله على ذلك إلا الطمع في الوزير، فعاقبه الله بقطع ما كان يجري عليه من الخليفة، وأصيب بفقر مدقع، وفاقة شديدة، حتى صار عبرة من العبر، وكان يفد إليّ يشكو حاله وما هو فيه من الجهد والبلاء فأبلغ جهدي في منفعته وما يسدّ فاقته، وهكذا جماعة من المترسلين على المبالغين في إنزال الضرر بي أرجعهم الله إليّ راغمين، وأحوجهم لمعونتي مضطرين، ولم أعاقب أحداً بما أسلفه ولا كافيته بما قدمه.

وقد ذكر بعض ما جرى في هذه المحنة في موضع آخر من كتابه «أدب الطلب»[1] فقال:

ومن[2] أقرب حوادث الرفض في ديارنا هذه أنه كان جماعة من المتظهرين بالعلم يملون على الناس في جامع صنعاء في شهر رمضان سنة ست وعشرة ومائتين بعد الألف في كتب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا نحو ثلاثة أو أربعة، كل واحد منهم قد اجتمع عليه جماعة كثيرة من العامة، وكان أحدهم يملي على كرسّي مرتفع، وتسرج حوله الشمع الكثير، فيجتمع من الناس

(١) ص ٧٤.

(٢) هذه الحادثة أشار إليها المؤلف في البدر الطالع.

عدد كثير جداً لقصد الفرجة، كما يتفق في مثل هذا، وكانوا يشوبون المناقب بذكر مثالب بعض الصحابة، ويحطون من بعضهم، ويصرحون بسبب البعض، ويتوجعون من البعض، وكان ما يصدر من هؤلاء من هذه الأمور إنما هو مطابقة للوزير الرافضي الذي قدمت لك ذكره، ولا سيما صاحب الكرسي، وهذا الوزير لم يكن رفضه لوازع ديني، كما يتفق لكثير من أهل الجهل المتعلقين بالرفض، فهو أنذل من ذاك وأقل، ولكنه يفعل ذلك مساعدة لجماعة من شياطين المتفقهة المتعصبة، يدخلون إليه فيقولون: إنه لم يبق من يحامي على هذا الأمر سواك، وأنك ركن التشيع، وملجأ أهله، ونحو هذه العبارات، فيبالغ في التظهر بهذه الخصلة، ويحب نسبة ذلك إليه، فكان الرفض مكملاً لمثابه، متمماً لمعايبه، لأنّه في كل باب من أبواب القبائح قريع دهره، ونسيج وحده.

فلما تكاثر ما يصدر من أولئك المشتغلين بما لا يعنيهم من ثلب السلف مع ما ينضم إلى ذلك من إدخال الضغائن في قلوب العامة وإيمانهم أن الناس قد تركوا مذهب أهل البيت، وفعلوا وفعلوا، وكل ذلك كذب، فإن الناس هم في هذه الديار زيدية، وكثير منهم يجاوز ذلك فيصير رافضياً جلداً، ولم يكن في هذه الديار على خلاف ذلك إلا الشاذ النادر، وهم أكابر العلماء، ومن يقتدي بهم، فإنهم يعملون بمقتضى الدليل، ولا ينتمون إلى مذهب، ولا يتعصبون لأحد، فهؤلاء هم الذين يقصدهم أولئك الرافضة بكل فاقرة، ويرمونهم بالحجر والمدر، ويسمونهم بميسم النصب.

فلما تفاقم شر أولئك المدرسين، وصار الجامع ملعباً لا متعبّداً، واشتغل بأصواتهم المصلون عن صلاتهم، والذاكرون عن ذكرهم رجح إمام العصر[1] أعزّ الله به الدين منع صاحب الكرسي من الإملاء في الجامع، وأمره بالعود إلى المسجد الذي كان يملي فيه.

فحضر أولئك المستمعون على عادتهم وكان الإملاء قبل صلاة العشاء، فلما لم يحضر شيخهم ذهب بعضهم ليجيء به من بيته، فأخبرهم أن الإمام قد منعه، وأمره بالعود إلى حيث كان، فلم يعذروه، ولا سمعوا منه، ورجعوا إلى الجامع، ثم ثاروا ثورة شيطانية، وقاموا قومة طاغوتية، فمنعوا من الصلاة في الجامع، وما زال ينضم إليهم كل رافضي، ومن له رغبة في إثارة الفتنة، حتى صاروا جمعاً كثيراً، ثم خرجوا، فقصدوا بيت المؤذن الذي أظهر عليهم الرأي الإمامي فرجموه، حتى كادوا يهدمونه، وفيه نساء وأطفال قد صاروا في أمر مريع، هذا وليس لذلك المؤذن المسكين سعي، ولا له قدرة على شيء، ولكنه أرسل بالرأي الإمامي والي الأوقاف إليه، ووالي الوقف أيضاً ليس له سعي في ذلك ولكنه أرسله إليه بعض من يتصل بالمقام الإمامي، ثم لما فرغوا من رجم بيت المؤذن ذهبوا ولهم صراخ عظيم وأصوات شديدة إلى بيت والي الأوقاف، وهو رجل من أهل العلم من آل رسول الله ﷺ، فرجموا بيته رجماً شديداً، حتى غشي على بعض من فيه من الشرائف، فقال لهم قائل: إن هؤلاء الشرائف المرجومات هن بنات نبيكم وبنات علي بن أبي طالب، ولم يكنّ بنات معاوية ولا بنات عمرو بن العاص وغيرهما ممن تعادونهم فما لكم ولهن؟ فلم يلتفتوا إلى ذلك، واستمرّوا على الرجم ثم دخلوا إلى بعض البيت ونهبوا بعض متاعه، وبلغهم أن والي الأوقاف وولده بمسجد قريب من بيته، فحاصروا حيصة حمر الوحش، وصرخوا صرخة

---

(١) هو الإمام المنصور علي بن العباس السابق ذكره.

الحمر الأهليّة، وذهبوا إلى ذلك المسجد عازمين على قتله، فأغلق عليه بعض الناس مقصورة المسجد، فسلم.

ثم ذهبوا بصراخهم وجلبتهم إلى بيت بعض أهل العلم من أهل البيت النبوي، وكان يعظ الناس بالجامع، ويتظهر ببعض من السنّة، فرجموا بيته رجماً شديداً، وفيه شرائف وأطفال. ثم ثاروا إلى بيت بعض وزراء الخليفة لا لذنب إلا لكونه ينافسه ذلك الوزير الرافضي، وكونه ينتسب إلى بعض بطون قريش، فرجموه رجماً شديداً ثم كسروا بعض أبوابه ودخلوا وكادوا يتصلون بمن فيه لولا أنه حماه جماعة بالرمي بالبنادق وآخرون بالسلاح، ويتصل ببيت هذا الوزير المرجوم بيت وزير آخر من أهل العلم فرجموه ورجمهم من في بيت الوزير حتى أصابوا جماعة منهم فتركوه، وسبب رجمهم لبيت الوزير هذا أنه من جملة من يتظهّر بعلم السنّة، ثم لما كاد ينقضي الليل فارقوا ما هم فيه من أثاروا فتنة عظيمة، ومحنة شديدة.

ولما كان النهار جمع الخليفة أعوانه، وطلبني واستشارني، فأشرت عليه بأن يحبس أولئك المدرسين الذين أثاروا الفتنة في الجامع بسبب ما يصدر منهم من نكاية القلوب وإثارة العوام، فحبسهم، ثم أشرت عليه بأنه يأمر بتتبع أولئك الذين رجموا البيوت، وفعلوا تلك الأفاعيل ومن وجدوه حبسوه، ويأمر بتتبع جماعة من شياطين الفقهاء المثيرين للفتنة، ففعل وحبسوا جميعاً، ولكن لم ينصح والي مدينة صنعاء لموافقته للوزير الرافضي في الرفض ومهابته له ووقوفه عندما يختاره ويرتضيه.

وبعد ان اجتمع في الحبس جماعة كثيرة من هؤلاء أرسل الإمام حفظه الله لجماعة من شياطينهم المباشرين للفتنة من الفقهاء، فجيء بهم من الحبس إليه، وضربهم بالعصي تحت داره وهو ينظر، ثم أرسل في اليوم الآخر لجماعة من أهل السوق المباشرين للفتنة فصنع بهم ما صنع بأولئك، ثم جعل جماعة من شياطين الجميع في سلاسل وأرسل بهم إلى جزائر البحر على هيئة منكرة فسكنت الفتنة سكوناً تاماً.

ولقد شاهدت من التعصبات في هذه الفتنة ما بهرني من الخاصة والعامة، أما الخاصة فإني رأيت من أهل بيت الخلافة من أولاد الإمام وغيرهم ومن الوزراء والأمراء والقضاة وأهل العلم من ذلك ما يعجب منه، فإني لما أشرت على الخليفة بما أشرت خرجت من المكان الذي هو مستقر فيه إلى حجرته، وفيها أكابر أولاده، وهم إذ ذاك أمراء الأجناد، وعندهم جميع الوزراء وهم جميعاً في أمر مريع، فيهم من يعظم عليه حبس أولئك المدرسين ويراه حطّاً في مرتبة الرفض، ونقصاً من الرافضة، وقد قتل منهم ذلك الوزير الرافضي في الذروة والغارب، وأوهمهم أنها ستثور فتنة من العامة والأجناد، وما زال بعض أولاد الخليفة يردّد عليّ ذلك ويرغبني في الرجوع عن الشور الذي أشرت به على الخليفة، ويذكر ما قد ألقاه إليه الوزير الرافضي من خشية ثورة الأجناد والعامة، فما زلت أعرفه بالصواب، وأذكر له أن هذه الفتنة لو لم تحسم يومنا هذا بحبس المثيرين لها لهلك غالب الناس في الليلة الواصلة، ونهبوا الأموال جهاراً، وأنه سيصل الأمر إلى الخليفة وأولاده فضلاً عن غيرهم، وعرّفته أنه ما سيثور بسبب ذلك أجناد ولا غيرهم، فإن هذا تسكين للفتنة لا إثارة لها، ولقد حمدوا هذه المشورة بعد حين وعرفوا أنها صواب، وأن بها كان سكون تلك الفتنة التي غلت مراجلها، وكادت تعم جميع أهل صنعاء ثم تسري بعد ذلك إلى سائر الديار اليمنية.

قراءة في واقع "صوفية مصر" بعد أحداث ٣٠ يونيو

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

من المعلوم أن الطرق الصوفية في مصر والتي يبلغ عددها نحو ٧٤ طريقة لم تخفِ موقفها الحقيقي من ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م حيث ناصبتها ومنذ البداية وفي صراحة ووضوح معلنين العداء لها وذلك عبر بياناتها الصادرة عنها فضلا عن تصريحات قياداتها والمتحدثين باسمها فقد كانت هذه الطرق مؤيدة وبقوة للإجراءات التي كان يتخذها نظام الرئيس المخلوع حسني مبارك من أجل توريث الحكم لنجله جمال وهو الحلم الذي أطاحت به هذه الثورة، بل وكان أحد أهم الأسباب الأساسية لاندفاع الجماهير ومشاركتها في فعاليات الثورة.

وعليه فلم يكن بمقدور تلك الطرق التي نمت وترعرعت في كنف الأنظمة المستبدة، ومن بينها نظام مبارك، أن تنقلب عليه أو تثور ضده فهي تدرك جيدا أن ازدهارها واستمرار حيويتها ينبع بالأساس من توفر أجواء سياسية خاصة تدفع بالناس إلى الهروب من واقعهم الأليم للانضواء تحت لواء طرق صوفية تساعد على تغييب الوعي، وتحصر الدين في بعض المظاهر والطقوس التي يغلب على أكثرها البدعية والانفصال بصاحبها عن حياته وواقعه حتى لو حاولت بعض هذه الطرق أن تظهر على العكس إذ يندر أن نجد في صفحات التاريخ ما يشير إلى مشاركة جادة وفاعلة من قبل من يصفون أنفسهم بالمتصوفة في دفع ظلم أو رفض عدوان، وإن كانت الموضوعية تفرض علينا الإشارة إلى أن ذلك لا ينطبق مطلقا على أولئك الذين التزموا خط الزهد والتقشف في الحياة الدنيا دون أن يخرجوا عن حدود الكتاب والسنة.

كما يضاف إلى ذلك وعي هذه الطرق وقادتها بأن هذه الأنظمة المستبدة نفسها أحرص ما تكون على بقاء مثل هذه الطرق وانتشارها وتمددها كونها تنأى بأتباعها عن المشاركة في العمل السياسي وإظهار تبعيتها التامة للنظام الحاكم مهما كان منهجه أو سلوكه أو حتى موقفه من الدين إذ المعيار الوحيد لدى هؤلاء هو منح هذه الطرق حرية ممارسة طقوسها وفعالياتها واحتفالاتها التي تكاد لا تتوقف في كل أنحاء البلاد فضلا عن عدم الالتفات إلى أية مؤسسة تتجرأ على إبداء أية ملاحظات عقائدية أو حتى أخلاقية على سلوكيات الكثير من المنضوين تحت لافتات هذه الطرق وهو الأمر الذي يمكن أن يفسر لنا حجم الدعم المالي السخي الذي كانت وما زالت تجود به الأنظمة المستبدة على هذه الطرق بل والسماح لها أيضا بالاستيلاء على جزء كبير مما يسمى بصناديق النذور إذ بات معروفا أن كثيرا من قادة الطرق الصوفية يعيشون حياة الرغد نظير ما

(*) كاتب مصري.

يتحصلون عليه من نصيب من هذه الصناديق فيما تكتفي قواعد هذه الطرق بالاستمتاع بما ينالونه مما لذ وطاب من أطايب الطعام والشراب خلال ما يسمونه بحلقات الذكر التي تقام كل يوم إما في منزل أحدهم أو بأحد الأضرحة أو حتى في بعض المساجد الخاضعة لسيطرتهم فضلا عن الموالد التي ليس خافيا على أحد ما يحدث فيها وما تشهده مما سجلته الكثير من وسائل الإعلام وأعين المراقبين.

الانحياز للعلمانيين

بمنتهى الموضوعية لا يمكن الأخذ بالمبررات التي أبداها الصوفية تفسيرا لموقفهم المتشدد من تمكن الإخوان المسلمين والرئيس محمد مرسي من الوصول للحكم والتي استندت إلى دعوى أن الإخوان وأنصارهم تربصوا بالنشاط الصوفي وأعطوا الضوء الأخضر لبعض الشباب بهدم الأضرحة وغير ذلك مما كشف عنه الصوفية في تصريحاتهم المنتقدة لمرسي خلال العام الذي تولى فيه الحكم ..

وقد كان يمكن قبول تلك المزاعم لولا أن الواقع يخالف ذلك تماما إذ أن هذا الموقف الصوفي الرافض لمرسي والإخوان سبق الانتخابات الرئاسية نفسها عندما أعلن الصوفية أنهم يدعمون وبكل قوتهم المرشح الرئاسي الفريق أحمد شفيق الذي خاض هو والدكتور مرسي معركة الإعادة على المقعد الرئاسي على الرغم من أن خيار الفريق شفيق لم يكن هو المرجح لدى أغلبية التيار الإسلامي الذي يفترض أن يكون الصوفية ضمن مكوناته كما لم يكن مرجحا بالنسبة لكل مؤيدي وداعمي ثورة يناير وهو ما يؤكد صحة ما أشرنا إليه إذ الموقف المبدئي لهذا التيار الصوفي هو الانحياز لنظام مبارك بفكره ومنهجه دون إبداء أية رغبة في التطلع لتغيير الحالة السياسية بالشكل الذي تتطلع وتطمح إليه الجماهير.

يضاف إلى ذلك أن الملاحظات التي أبداها المتصوفة وُجهت بالأساس إلى عناصر شبابية لا علاقة تنظيمية بينهم وبين الإخوان المسلمين إذ عبرت في أغلبها عن سلوك غير منظم لدى بعض الأفراد الذين لا ينضوون تحت لواء تنظيمات إسلامية وهو ما يدركه الصوفية أنفسهم بل وعبروا عنه مرارا حيث كانوا دائما ما ينسبون هؤلاء الشباب إلى التيار السلفي وليس إلى الإخوان.

كذلك ارتبط تصعيد حملة الصوفية ضد الإخوان ومرسي زمنيا بالحملة الشعواء التي شنها المتشيعون المصريون والدولة الإيرانية مستهدفة مرسي وجماعته في أعقاب المؤتمر الذي عقده باستاد القاهرة واصطحب خلاله عددا من العلماء والمشايخ والدعاة الذين شنوا بدورهم هجوما حادا على الرئيس السوري بشار الأسد وجرائمه بحق الشعب السوري الأمر الذي يثير الكثير من التحفظات عن مدى التوافق بين الصوفية والشيعة وإيران في الوقت الذي لم تفتأ تؤكد فيه بعض قيادات المتصوفة انعدام هذه العلاقة بين الطرفين بل والإعلان عن الاستعداد للتعاون مع أي جهة من أجل مواجهة محاولات نشر التشيع في المجتمع المصري من مثل ذلك الاتفاق الذي تم بين ائتلاف آل البيت والصحب والمجلس العالمي للصوفية والذي يتم بموجبه التعاون المشترك للتصدي للشيعة عمومًا ، والتصدي للشيعة أيام مولد الحسين على وجه الخصوص.

ولعل الدلالة الأخطر في موقف الصوفية السياسي من الإخوان والسلفيين على حد سواء هو الكشف عن وجود حالة من الخصام بين الصوفية وبين أية مشروع إسلامي للحكم بل والإصرار على تقديم فهم مبتور للإسلام وحصره كما أشرنا في شكليات وشعائر دون حتى تبني رؤية حضارية يمكن بها مواجهة الأفكار والأيدلوجيات العلمانية وهو ربما الأمر الذي استحسنته القوى الغربية حتى أضحت الصوفية هي الخيار والبديل الأفضل الذي تروج له كثير من مراكز الدراسات والأبحاث الأمريكية ومنها مثلا ذلك التقرير المطول الذي صدر مؤخرا عن لجنة الحريات الدينية بالكونجرس الأمريكي عن الحركات الإسلامية

وكيفية الاعتماد على الإسلام السياسي في إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط الجديد حيث رصد التقرير المقدم للبيت الأبيض أربعة عناصر للإسلام السياسي على النحو التالي:

الأول: وهم الأصوليون الذين يرفضون القيم الديمقراطية والثقافة الغربية الراهنة ويعتبرها الشريحة الأخطر والتي من الواجب مواجهتها واستئصالها.

الثاني: وهم التقليديون الذين يسعون إلى خلق مجتمع محافظ وهي فئة التقليديين أو المحافظين وهي فئة يلحقها التقرير في المعاملة بفئة الأصوليين.

الثالث: وهم الحداثيون «أهل الحداثة» الذين يبغون عالمًا إسلاميًا مندمجاً في داخل الحداثة العالمية ويقدمها التقرير كخيار بديل للأصوليين والتقليديين وهو خيار المجددين أو الإسلاميين الليبراليين.

الرابع: وهم العلمانيون الذين يريدون عالمًا إسلاميًا مختزلًا للدين في الدوائر الخاصة على غرار الديمقراطيات الغربية.

أما الشريحة الخامسة فتشمل الحركات الصوفية حيث يطرح الإسلام الصوفي كبديل أقوى يملأ به أرض الواقع ويحل محل دعاة الأصالة والشريعة والخلافة.

ويوصي التقرير بضرورة تعزيز مكانة المذهب الصوفي وتشجيع الدول ذات التقاليد الصوفية القوية على التركيز على الجزء الصوفي من تاريخهم وإدراجه في المناهج الدراسية المعتمدة في المدارس.

وينتهي التقرير بوصايا محددة كان أبرزها وأخطرها توصية الكونجرس الأمريكي بضرورة دعم وتأييد الاتجاه الصوفي ونشره والدعوة إليه وإدماج الصوفية في الحكم بهدف محاربة الإسلام الأصولي والعمل على مصالحة التصوف الإسلامي ودعمه لكي يستطيع ملء الساحة الدينية والسياسية وفق ضوابط فصل الدين عن الحياة.

ومن ثم واستنادا إلى هذا الجزء الضئيل الذي نقلناه عن التقرير المطول فإن ما ذهبنا إليه لا يعد افتراء على التصوف والصوفية في مصر إذ كانت ممارساتهم ومواقفهم بالفعل تعكس صوابية التقييم الأمريكي بل إن هذه المواقف ربما تكون هي محاولاتهم من أجل إبقاء هذا التصور تجاههم ومن ثم ضمان استمرار دعمهم إذ وجود بيئة إسلامية تتمتع بالحرية يمثل تهديدا قويا لبقاء الزخم الصوفي على شاكلته التي هي عليها في مصر بل وفي كل البلدان العربية والإسلامية فالإسلام بطبيعته رؤية شمولية تمزج بين الدين والدنيا، بين العمل للآخرة والنظر في الدنيا لتحقيق سعادة البشرية.

دور مهم

حرص الرئيس السيسي وحتى قبل جلوسه الفعلي على كرسي الرئاسة المصرية على أن يلتقي بوفد يمثل التيار الصوفي في البلاد وهو ربما الإجراء الذي أراد به تحقيق عدة أمور منها:

- أن يكون ذلك رسالة للجميع بأنه منحاز لفهم خاص للإسلام وللتدين ومن ثم العمل على إزالة أي لبس يمكن أن يحدث خاصة وأن الإعلام قد روج عنه خلال عهد الدكتور مرسي من أنه شخصية متدينة حتى أن البعض وصفه بالإخواني وعليه تنقضي أي دوافع للقلق والخوف من أي جهة في الداخل أو الخارج.

- أراد السيسي أن يدفع عنه ما روجته التيارات والقوى الإسلامية المناهضة لكل ما ترتب على أحداث الثلاثين من يونيو من أن مواقفه وسلوكه معادية للإسلام إذ بدا أن لقاءه بوفد الطرق الصوفية يعني أن موقفه من الإخوان ليس موقفاً من الإسلام وإنما من توجهات إسلامية بعينها.

- كما لم ينس السيسي أن التيار الصوفي في مصر ينتسب له الكثير من العلماء المنتمين لمؤسسة الأزهر بينهم شيخ الأزهر نفسه الدكتور أحمد الطيب ورئيس جامعة الازهر الأسبق الدكتور أحمد عمر هاشم ومفتي الجمهورية السابق الدكتور علي جمعة وغيرهم الكثير ممن لهم تأثير

بالغ على قطاعات شعبية لا يستهان بها، وعليه فإن كسب هؤلاء هو جزء من الظهير الشعبي الذي يستند إليه السيسي في مواقفه ووجوده فضلا عن انتخابه في الانتخابات الرئاسية التي جرت بعد اللقاء بأسابيع قليلة.

زمن السيسي

لاشك أن السنوات الثلاث التي أعقبت ثورة يناير ٢٠١١ كان لها دور كبير في حدوث تغييرات على واقع البنية السياسية والثقافية والاجتماعية ومكوناتها في عموم البلاد كلها وقد شمل ذلك الصوفية بطبيعة الحال، وعليه وفي ظل ما سردناه من معطيات سابقة يمكن لنا أن نكشف عن ملامح الصورة التي عليها الصوفية الآن في مصر وبعد نحو عام ونصف على إقالة الرئيس مرسي.

- النظرة إليهم كونهم فئة انتهازية أو على حد قول شيخ الطريقة العزمية الدكتور علاء أبو العزايم أنهم من راكبي الموجة حيث اعترف في تصريح صحفي بأن الطرق الصوفية كانت أداة لخدمة أمن الدولة ضد الإخوان المسلمين إبان نظام الرئيس المخلوع حسني مبارك واصفا في الوقت ذاته – بحسب الإذاعة الألمانية «دويتشه فيله» - القيادات الصوفية بالفاشلة وعدم امتلاكها وزنا حقيقيا في المجتمع المصري لأنها تقبل بتوظيفها من قبل السلطة لاسيما إبان نظام مبارك.

وقال أبو العزايم إن السلطة حاليًا هي من تستخدم الطرق الصوفية ولكن القيادات الصوفية هي من تقدم نفسها للسلطة لتحقيق مصالحها الشخصية معتبرا أن مساندتهم للمشير السيسي ليست عن قناعة شخصية بل لركوب الموجة لأنهم يستغلون النظام الحاكم أيًا كانت توجهاته مبرهنا على ذلك بموقف الطرق إبان الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠١٢ قائلاً: «أكدت قيادات الطرق الصوفية حينها أنهم على مسافة واحدة من جميع المرشحين رغم أنهم كان عليهم تأييد أحمد شفيق ولكن لم يفعلوا ذلك خشية فوز الإخوان المسلمين.

- تصويرهم باعتبارهم إما مشعوذين أو دجالين أو داعرين أو أنهم لا يلتزمون بسمت المتدينين فمثلا قدم التلفزيون المصري العام الماضي عددا من المسلسلات خلال شهر رمضان وغيره حملت الكثير من الانطباعات التي اعتبرها الصوفية سلبية حول التصوف والصوفية في مصر ومن ذلك مثلا مسلسل «خلف الله» بطولة نور الشريف والذي يقوم فيه بأداء شخصية رجل متصوف يدعى «خلف الله» غير أن المسلسل أظهره بعيدا عن الورع تماما حيث يكثر النظر للنساء بلا خوف أو وجل من الله وكل ما يخشاه هو أن تنتبه المرأة المنظور إليها من فعله لكن ومع ذلك يكون لمثل هذه الشخصية كرامات تذهل كل من حوله.

ومنها أيضا مسلسل «تفاحة آدم» بطولة خالد الصاوي والذي جسد فيه شخصية مدعٍ صوفي بالاشتراك مع داعرة تركت الدعارة لتدعي أنها شيخة متصلة بالله وأنها يمكن أن تحقق أماني الحيارى، فيما ربط مسلسل ثالث هو «السبع وصايا» بين المتصوفة وبين السحر والشعوذة.

- حالة الخوف والرعب التي انتابتهم بعد الإطاحة بالرئيس محمد مرسي والتردد قبل إقامة أي من احتفالاتهم في مختلف المحافظات بدعوى تعرض مواكبهم لعمليات مسلحة تستهدفهم.

- الاستغراق لكثير من الوقت في الصراعات الداخلية حول نتائج انتخابات المشيخة واعتراض بعض الطرق على ما تم بشأنها من إجراءات ومن ذلك ما كان قد أعلنه طارق الرفاعي شيخ الطريقة الرفاعية من أنه سيتقدم بدعوى قضائية ببطلان نتيجة انتخابات المجلس الأعلى للطرق الصوفية لأنها مبنية على بطلان ومخالفة للقانون موضحًا أن الشيخ عبد الهادي القصبي رئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية وجّه الانتخابات لصالح قائمة محددة يتم تداولها بين الناخبين وتشمل القائمة (محمود أبو الفيض، شيخ الطريقة الفيضية - أحمد الصاوي، شيخ الطريقة الصوية - سالم الجازولي، شيخ الطريقة الجازلية - مختار

محمـــد، شـــيخ الطريقـــة المحمديـــة الـــصوفية - مـــصطفى القـــاورجي، شـــيخ الطريقـــة القاورجيـــة - إبـــراهيم ســـلامة شـيخ الطريقـة الحامدية الـشاذلية - محمـــد علـــي عاشـــور، شـــيخ الطريقـــة البرهاميـــة - ســـعيد الـــشناوي، شـــيخ الطريقـــة الأحمديـــة الـــشناوية - محمـــد التفتـــازاني، شـــيخ الطريقـــة الغنيميـــة - عـــصام زكـــي إبـــراهيم، شـــيخ الطريقـــة المحمديـــة الشاذلية).

- اضـــطرارهم ووفـــق تـــصريحات بعـــض قـــادتهم - خاصـــة مـــن أولئـــك الـــذي انخرطـــوا في الأحـــزاب المعـــبرة عـــنهم - إلى اللجـــوء للتحـــالف مـــع النـــصارى والعلمـــانيين مـــن أجـــل الفـــوز بعـــدد مـــن مقاعـــد البرلمـــان وهـــو مـــا كـــشف عنـــه عبـــد الحلـــيم الحـــسيني المتحـــدث باســـم الاتحـــاد العـــالمي للطـــرق الـــصوفية مـــشيرا إلى أن اتفاقـــا تم بـــين الاتحـــاد والأقبـــاط لـــدعم كـــل مـــنهم الآخـــر فـــى الانتخابـــات البرلمانيـــة المقبلـــة حيـــث أكـــد الأقبـــاط دعمهـــم للقـــوائم التـــى ســـيعدها الاتحـــاد علـــى أســـاس الكفـــاءة والـــورع فـــى حـــين ســـيدعم الاتحـــاد المرشحين الأقباط إذا ما توافر فيهم الشرطان.

- تزايـــد الـــدعوات للخـــلاص مـــنهم علـــى نمـــط مـــا قامـــت بـــه الدولـــة تجـــاه الإخـــوان وبعـــض التيـــارات الإســـلامية ومـــن ذلـــك مـــا كـــان قـــد صـــرح بـــه الـــدكتور جمـــال محمـــد مـــصطفي مـــدير آثـــار الـــسلطان حـــسن مـــن أن «الدولـــة قـــضت علـــى جماعـــة الإخـــوان ولم يبـــق لنـــا سوى الصوفية».

- محـــاولات الحكومـــة اســـتعادة هيمنتهـــا علـــى بعـــض المـــساجد الـــتي يـــسيطر عليهـــا الـــصوفية ومـــن ذلـــك مـــا تناولتـــه وســـائل الإعـــلام مـــن نيـــة الحكومـــة إخـــلاء مـــسجد ســـيدي أحمـــد الرفـــاعي الـــذى يـــضم ضـــريح الرفـــاعي وتـــسليمه إلى وزارة الآثـــار علـــى اعتبـــار أنـــه مكان أثري.

الاختلاط في التعليم وصراع الهوية

فاطمة عبد الرءوف[*] – خاص بالراصد

الاخـــتلاط في التعلـــيم أحـــد المـــستجدات الـــتي يواجههـــا مجتمعنـــا الإســـلامي كأحـــد النـــواتج المهمـــة لريـــاح مـــا أطلـــق عليـــه «الحداثـــة» والـــتي اســـتوردنا قـــشورها الخارجيـــة والظاهريـــة وحـــصلنا علـــى نـــصيبنا كـــاملا مـــن عيوبهـــا ومـــساوئها دون أن نجـــني أي فائـــدة تـــذكر مـــن حقيقـــة تقـــدم تلـــك المجتمعـــات في مجـــالات التـــصنيع والتكنولوجيـــا وحتـــى في قواعـــد الإدارة.

ولابـــد في هـــذا الـــسياق أن نميـــز بـــين أمـــرين بينهمـــا مـــن الخـــلاف فـــارق واضـــح فثمـــة تبـــاين ضـــخم بـــين التعلـــيم الحـــديث ومـــا يتـــضمنه مـــن علـــوم كـــان لهـــا دورهـــا الواضـــح في النهـــضة العلميـــة الحديثـــة وبـــين آليـــات هـــذا التعلـــيم، فـــدعاة التغريـــب الـــذين يتحـــدثون كـــثيرا وطـــويلا عـــن التخلـــف الـــذي تعيـــشه مجتمعاتنـــا العربيـــة والإســـلامية بينمـــا يتحـــدثون بانبهـــار عـــن مظـــاهر المدنيـــة والرقـــي والتقـــدم العلمـــي الفـــائق في الـــدول الغربيـــة وهـــو كـــلام حقيقـــي لابـــد أن نعـــترف بـــه ولا نـــبرره ونـــدافع عـــن أنفـــسنا بإلقـــاء تبعـــة ذلـــك علـــى الاســـتعمار والاســـتغلال أو نقـــوم بحيلـــة نفـــسية دفاعيـــة بتمجيـــد ماضـــينا العريـــق الزاخـــر بالعلمـــاء في شـــتى التخصصات وكلا الأمرين صحيح .

أي أننـــا بالفعـــل حملنـــا مـــشعل الحـــضارة العلميـــة الماديـــة طيلـــة قـــرون طويلـــة بينمـــا كـــان الآخـــر الغربـــي يغـــط في ســـبات التخلـــف كمـــا أننـــا كنـــا نحمـــل في اليـــد الثانيـــة مـــشعل القـــيم الخلقيـــة النبيلـــة النابعـــة مـــن ديننـــا ولم نحـــاول اســـتغلال الـــشعوب الأخـــرى أو الـــتحكم في مقـــدراتها ناهيـــك أن نخطـــط لتكـــريس حالـــة التخلـــف الـــذي كانـــت تعيـــشه، والتـــاريخ شـــاهد علـــى ذلـــك وإن

(*) كاتبة مصرية.

كان هناك بعض التجاوزات فهي لحالات فردية وليست وفق مخطط ممنهج كما هو الحال مع الحضارة الغربية الحديثة التي عملت - ولا تزال - على تكريس حالة التخلف والإفقار على كافة المستويات الممكنة.

على أن هذا كله لا يبرر الوضع بالغ السوء الذي تعيشه بلادنا والذي تبدأ أولى خطوات علاجه بالحصول على تعليم جيد وشامل فآيات المولى عز وجل مبثوثة في عالم الكون ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات:٢٠].

إن قضية التعليم هي قضية جدية وبالغة الأهمية ولايمكن أن تحتل المرتبة الثانية إذا أردنا فعلا العودة لذاتنا الحضارية المستلبة، ولايمكننا الحديث عن التعليم وأهميته ونستثني النساء اللاتي كرمهن المولى عز وجل واللاتي هن شقائق الرجال (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) الإسراء:٧٠. واللاتي شهدن جميع الأحداث الحيوية مع النبي ﷺ. ويمكننا أن نلاحظ العلاقة الطردية الوثيقة بين منح المرأة كافة حقوقها التي جاء بها الإسلام دون انتقاص بأي حجة وبين ارتفاع المستوى الحضاري العام للأمة.

جذور القضية

على الرغم من اهتمام الإسلام بقضية تعليم النساء وعلى رأس أولويات ذلك تعليمهن أمور الدين ومن ثم المعنى الحقيقي للحياة حيث كن يحضرن الكثير من الدروس في المسجد وعلى الرغم من ذلك طالبن بدرس خاص ربما ليطرحن الاسئلة بحرية أكبر فلقد كن يحضرن الدروس ويجلسن في مؤخرة المسجد فربما لم يستمعن بشكل واضح أو يلتبس عليهن بعض الأمور أو يرغبن في طرح بعض الاسئلة التي لايجمل بهن طرحها على مرأى ومسمع الرجال فعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ - رضي الله عنه - قال: (قالتِ النِّساءُ للنبيِّ - ﷺ - : غَلَبَنا عليك الرجال، فاجعلْ لنا يومًا من نفسك؛ فوعدهنَّ يومًا لقيهنَّ فيه، فوعظهنَّ وأمرهنَّ) متفق عليه.

ولأسباب متعددة ليس هنا مجال تفصيلها أصيب منحنى الحضارة الإسلامية بهبوط في بعض الجزئيات المفصلية فعلى الرغم من ازدهار العلوم فيما تلى العصر النبوي من عصور خاصة في العصر العباسي إلا أن وضع المرأة وتعليمها انحط ولم يرتفع وانحصرت حياتها في زاوية محددة لم يكن التعليم يرفرف فيها - معظم النساء وبالطبع فإن لكل قاعدة شواذ - وازدادت الأمور سوءا بتراجع المنحنى العام وهبوط قيمة العلم حتى أصبح مشعل العلم في يد حضارة أخرى تكاد تتنكر فضلنا على العلم واقتصر التعليم على التعليم الديني بمعناه الضيق وبصورة تقليدية جدا حتى أفقنا على الغزوة الاستعمارية الحديثة فجاء نابليون يحمل أسلحته الحديثة ومطبعته الملهمة، جاء بجيش من المحاربين وجيش من العلماء فبدأنا نتنبه على استحياء ونرسل أبناءنا للبعثات ونطرح الأسئلة الكبرى على ذاتنا الحضارية، ويظهر تياران كبيران في الأمة أحدهما تيار الأصالة بمدارسه المتعددة، والثاني هو تيار التغريب بمدارسه المتعددة أيضا.

وطرحت قضية المرأة وتعليمها على طاولة البحث كواحدة من أهم القضايا وأكثرها إلحاحا وللأسف الشديد فإن تيار التغريب فاز بقصب السبق إلى الميدان ولمعت أسماء لطفي السيد وطه حسين في دعم قضية تعليم المرأة وطبعا اصطبغ التعليم بصبغتهم فكان لا مناص من الاختلاط وتقليد الغرب أو كما قال طه حسين: (أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاءَ فى الحضارة خَيْرِها وشَرِّها، حُلْوِها ومُرِّها، وما يُحَبّ منها وما يُكْرَه، وما يُحْمَد منها وما يعاب) [١].

حلول متنوعة

وفي البحث عن طريق للنهضة والصحوة أدركنا قيمة العلم وقيمة تعليم النساء خاصة وكان للمرأة المسلمة الحديثة دور عظيم في عودة الإسلام ليحتل

(١) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص ٥٥.

مكانته في الحياة العامة، تلك المكانة التي حاول التيار التغريبي إلغاءها أو تهميشها، ولكن تعليم النساء سار وفقا للنظام التغريبي وفي القلب منه الاختلاط في التعليم خاصة في المرحلة الجامعية، وأصبح لزاما على المعنيين بقضايا المرأة المسلمة أن يبحثوا عن حلول تمنح المسلمة فرصا أضخم للتعليم وتتجنب مساوىء النظام التغريبي خاصة أطروحة الاختلاط التي أصبحت واقعا معاشا في معظم بلدان العالم الإسلامي وهذه مجموعة من الحلول العملية التي قد تساعد خطوة على طريق الحل.

ولعل المشكلة الحقيقية التي تحتاج إلى حل تكمن في مرحلة التعليم الجامعي فمرحلة ما قبل التعليم الجامعي حيث تنتشر المدارس يكون من السهل تخصيص مدارس خاصة للذكور وأخرى تخص الإناث من الابتدائي للثانوي أو على الأقل في المرحلتين الإعدادية والثانوية وفي بعض البيئات الريفية حيث يقل عدد المدارس من الممكن جعل الدراسة على فترتين إحداهما للذكور والأخرى للإناث.

إذن المشكلة الجوهرية هي مرحلة التعليم الجامعي حيث أن عدد الجامعات محدود ولأن الجامعات بحاجة لمعامل وقاعات خاصة باهضة التكاليف وأعضاء هيئة تدريس على مستوى عال من العلم وهي أموريس من السهل توافرها وعلى الرغم من ذلك فهناك مجموعة من الحلول العملية التي تم تطبيقها بالفعل في تجارب من الممكن أن تعمم في بلدان العالم الإسلامي.

١- في حال توافر الإمكانيات يتم إنشاء جامعات خاصة للبنات كجامعة الأزهر فرع البنات بفروعها المنتشرة في أرجاء القطر المصري وكجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن في المملكة العربية السعودية.

٢- إنشاء كلية خاصة بالبنات في جامعة مختلطة عادية وتكون هذه الكلية معنية بالدراسة التي تهتم بها أكبر شريحة من الطالبات كالدراسات التربوية، وتعد كلية البنات التابعة لجامعة عين شمس المصرية مثالالهذه النوعية من الكليات.

٣- وهذا الحل وإن لم يكن مثاليا إلا أنه واقعي جدا ومن السهولة بمكان تنفيذه بل يمكن للطلاب أنفسهم تنفيذه دون الحاجة لقرارات فوقية من الإدارة الجامعية خاصة في بعض الجامعات العلمانية وهو يقلل من مساحة الاختلاط للحد الأدنى، يكمن هذا الحل بتخصيص جزء من المدرج للطالبات وجزء آخر للطلبة كما يحدث في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة حيث تكون المقاعد الموجود على يمين المدرج للطلبة بينما تكون المقاعد الموجودة على اليسار للطالبات فيستطعن السماع والمشاركة بمنتهى السهولة وإن كان هذا الحل لا يمنع الاختلاط خارج مدرجات الدراسة إلا أنه سيحمي الطلاب والطالبات الرافضين للاختلاط كما أن سيضيق من مساحة الاختلاط خارجه وهو حل يصلح للكليات النظرية والعملية على السواء.

٤- ويبقى ما كان يحدث في المسجد النبوي من حضور النساء الدروس الدينية في الصفوف الخلفية من المسجد أو في الطابق الثاني كما يحدث في المساجد المعاصرة واستخدام التقنية الحديثة لرفع مستوى الصوت ووضوحه حتى يتسنى للنساء حصولهن على حقهن من إرث الأنبياء.

النساء العلماء

يحلو لكثير من الكتاب أن يسخر من نساء الأمة وأنه لم تظهر من بينهن مدام كوري أو ابن خلدون ومن ثم فلا داع أصلا للبحث عن حل لمشكلة الاختلاط في التعليم الجامعي لأنه يكفي المرأة الحصول على قدر أولي من التعليم تتعلم فيه القراءة والكتابة ومبادىء الدين حتى تصح صلاتها وصومها وقدر من معارف الصحة ومنهج للتعامل مع الزوج وتربية الأطفال، هذا ما يردده للأسف البعض لحل إشكالية تعليم المرأة ولعلهم يستعيدون تجربة محمد علي في تعليم البنات عن طريق إنشاء مدرسة الولادة لتخريج قابلات ماهرات وماشابهها.

هذه الأفكارالتي لا تزال تطرح بين الحين

والآخر تعزز من اتهام البعض للإسلاميين بأنهم لايسعون بجدية لاستعادة المرأة لمكانتها عكس الخطوط العامة لأدبياتهم وهو أمر شديد الخطورة لأنه يعكس حالة التأرجح في الموقف من قيمة المرأة كإنسان لأن العلم هو المعيار الأساسي لقيمة الإنسان ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ البقرة: ٣١.

قد يكون من الصحيح أن عدد العلماء من النساء قليل ولكن هذا ليس مبررا من الحرمان بل لعله حافز لإزالة المعوقات التي تعترضهن وفي حديث أبي الدرداء:(إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) رواه أبو داود.

فليس لذكر فضل على الأنثى كي يرث وحده العلم وتبقى الأنثى في منزلة بين الإنسان الذكر العالم وبين عالم البهائم التي لا تعرف من العلم إلا ما يبقيها على قيد الحياة.

وليست المسئوليات الملقاة على عاتقها من بيت وزوج وأولاد بمانع لها عن تحصيل العلم والارتقاء في ذراه كما أن العلاقة بين العلم والعمل وإن كانت علاقة قوية إلا أنها ليست حتمية كما أن هناك الكثير من النساء يرغبن في العمل في طور من أطوار حياتهن وهناك نساء لا تمنعهن الظروف الاجتماعية من احتراف العمل وهذه النقاط كلها جديرة بالانتباه.

في عيون الغربيين

من السذاجة تصور أن قضية الاختلاط في التعليم هي قضية مسلّم بها في المجتمع الغربي فبعيدا عن القيم الدينية يعيش المجتمع الغربي حالة من التجريب سواء على المستوى العلمي أو المستوى الإنساني ومن ذلك تجربة الاختلاط الشائعة في التعليم، فبعد سنوات طويلة من التعليم المختلط بدأت أصوات تتعالى بتأثيره السلبي على مستوى الخريجين وحتى لا يتهكم أحدهم بقوله ليت خريجينا بنفس مستوى الخريجين الغربيين فنبادر بالقول إنهم في سياق التنافس مع الذات والوصول لمستوى الأفضل دائما فه يقارنون بين مستوى خريجي التعليم المنفصل والتعليم المختلط. فها هو رئيس كلية بوكسهل الاسترالية للبنات فرع الكويت الدكتور رونلد ويبر يقول: (إن هنالك دول عديدة متطورة توجد فيها كليات خاصة للطالبات فقط، مثلاً في أميركا وفي استراليا وفي بعض الدول الأوروبية، ويلاحظ أن مستوى التعليم في مثل هذه الكليات يكون أعلى وأفضل من غيرها من الكليات المختلطة) وأضاف قائلاً: (إن المتخرجات من كليات البنات يتفوقن في دراستهن كما يتميزن في سوق العمل أيضاً) [(١)].

ومنذ فترة صدر كتاب «الغرب يتراجع عن الاختلاط» لمؤلفه بفرلي شو ومنه نقتبس الفقرة الآتية: (إن الفطرة البشرية السليمة تؤكد على ضرورة فصل الرجال عن النساء، خاصة في المؤسسات التعليمية) وفي فقرة أخرى يقول: (إن العرف قد جرى في كثير من بلدان العالم بغض النظر عن معتقداتها على عملية الفصل، وكان هذا هو النظام المعمول به في بريطانيا حتى ستينات القرن الماضي) [(٢)].

الغرب إذن يراجع مواقفه ويعيد تقييم تجاربه، ألا يعني هذا شيئا ليس من قبيل مجرد التقليد ولكن وفقا للمبدأ الذي يقول إن السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره ولننصت لكلمات الرئيس الأمريكي السابق كينيدي وهو يتحدث عن الأضرار المترتبة على عدم تطبيق نظام الفصل بين الجنسين في قوله: (إن الشباب الأمريكي مائع ومترف وغارق في الشهوات، ومن بين كل سبعة شباب يتقدمون للتجنيد يوجد منهم ستة غير صالحين، وذلك لأننا سعينا لإباحة الاختلاط بين الجنسين في الجامعة بصورة مستهترة مما أدى إلى إنهاكهم في الشهوات) [(٣)].

---

(١) حوار مع رئيس كلية بوكسهل الاسترالية للبنات، فرع الكويت، د. رونلد ويبر، نقلا عن مقال: الغرب نظرة جديدة للاختلاط، لخباب الحمد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق

لهذه الأسباب خصصت إدارة الرئيس جورج بوش عام ٢٠٠٢م ما يزيد عن ٣٠٠ مليون دولار لتشجيع التعليم غير المختلط، وإنشاء مدارس خاصة بالبنين وأخرى للبنات، وتطبيقاً لتلك الإستراتيجية بلغ عدد المدارس الحكومية غير المختلطة في عام ٢٠٠٥م (٢٢٣) مدرسة بمعدل زيادة سنوية قدرها ٣٠٠٪، وبلغ عدد الولايات الأمريكية التي تقدم تعليماً غير مختلط ٣٢ ولاية، فهل يعتبر دعاة التغريب من هذه المراجعات بدلا من إصرارهم الأعمى من اتباع تجارب الغرب.

الطاقات المهدورة: القوة الناعمة في مجابهة المشروع الإيراني - الشيعي

بوزيدي يحيى(*) - خاص بالراصد

وضع الخميني إسقاطَ نظام صدام حسين هدفا لحربه مع العراق التي استمرت ثماني سنوات اضطر فيها المرشد الأعلى لإيران إلى تجرع كأس السم ووقف الحرب بعدما أضحى نظامه هو المهدد بالانهيار نتيجة للكلفة الكبيرة في شتى المجالات المترتبة عن طول فترة الحرب. وبعد أكثر من عقد أصبح لإيران نفوذ كبير في العراق مهّده الغزو الأمريكي الذي حقق حلم الخميني، حيث اعتلت السلطةَ هناك المعارضة الشيعية التي نشأ الكثير منها في طهران، وقدومها على ظهر الدبابة الأمريكية لم يجعلها تدير ظهرها لإيران. وأصبحت بغداد ابتداء من هذا التاريخ ورقة في يد الإيرانيين يساومون بها على مصالحهم الإقليمية، لدرجة تجنيد مليشيات شيعية (لواء أبي الفضل العباس) للمقاتلة مع حزب الله اللبناني إلى جانب نظام الأسد في سوريا.

(*) كاتب جزائري.

هذا الدور وامتداد الأذرع الإيرانية في كل أزمات المنطقة دفع - كما هو متداول في الساحة السياسية الدولية وترجحه الكثير من المؤشرات- الطرف الأمريكي إلى تمييل الكفة لصالح محاولة عقد اتفاق ما مع إيران بدل حلفائها العرب. وما يثير الاهتمام في كل هذا أنه عند الوقوف عند الدور العسكري الإيراني المباشر فإنه يقتصر على خبراء وبعض الكتائب من الحرس الثوري في سوريا التي تجادل طهران بنفي وجودها، وحتى إن كان الرقم أكبر من هذا فإنه لا يمكن مقارنته بحجم المكاسب التي حققتها إيران.

من هنا يتبين عظم مكاسب القوة الناعمة التي استطاع نظام الملالي جنيها مقارنة مع تواضع مكاسب القوة الصلبة طيلة العقود الماضية برغم الطاقات المادية والبشرية الكبيرة جدا التي جرى توظيفها خلال الحرب مع العراق دون أن تكلل بأي نجاح[1]. والأهم من هذا وذاك أن أدوات القوة الناعمة الإيرانية لم تقابل بأي جهود عربية حقيقية، وما دام خيار الحرب أو القوة الصلبة مكلفا جدا في مواجهة هذا المشروع، وغير وارد في الأصل، فإن السؤال الذي يطرح الآن بإلحاح هو: كيف يمكن توظيف القوة الناعمة في مجابهة المشروع الإيراني الشيعي؟

القوة الناعمة: التعريف والأسس

يرتبط مصطلح القوة الناعمة بعالِم السياسة الأمريكي جوزيف ناي الذي سعى إلى وضع أسسه بالنسبة للدولة في كتابه: (القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية)، حيث قام بدراسة

(١) لتفاصيل أكثر حول القوة الناعمة الإيرانية: انظر ملف مركز الجزيرة للدراسات حول الموضوع على الرابط:
iranandstrengthfactors/files/net.aljazeera.studies://http htm/2013/04/2013416105529173230.

مصادر القوة الناعمة للعديد من الدول، كما قدم توصيات في مختلف المجالات لرفد القوة الناعمة الأمريكية، وجادل بأهميتها مقارنة بالقوة الصلبة. وفي ثنايا الكتاب يقدم العديد من التعريفات لها فنجده يقول: هي تعني جعل الآخرين يريدون ما تريد[1]. وفي موضع آخر: تعني حشد تعاون الآخرين دون تهديدات أو دفع أموال[2]. وهي تتجاوز الإقناع إلى القدرة على الجذب، وعند تعريفها من خلال السلوك فإنها هي القوة الجذابة[3].

وتنشأ الموارد المنتجة للقوة الناعمة من القيم التي تعبر عنها منظمة أو بلد ما في ثقافته، وفي الأمثلة التي تضربها ممارساته الداخلية والسياسية، وفي الطريقة التي يعالج بها علاقته مع الآخرين[4]. وإجمالا ترتكز بالنسبة لأي دولة على ثلاثة موارد هي[5]:

١- ثقافته: في الأماكن التي تكون فيها جذابة للآخرين.

٢- قيمه السياسية: عندما يطبقها بإخلاص في الداخل والخارج.

٣- سياسته الخارجية: عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية وأخلاقية.

ومصادر القوة الناعمة كثيرا ما تعمل بصورة غير مباشرة عن طريق تشكيل البيئة السياسية، وتستغرق في بعض الأحيان أعواما كي تعطي النتائج المرغوبة[6]، خاصة في المجال الفكري، فالقرارات في سوق الأفكار كثيرا ما تشكلها القوة الناعمة، وهي انجذاب غير ملموس يقنع بمسايرة أغراض الآخرين دون حدوث أي تهديد صريح أو مبادلة[7].

وفي ظل استمرار الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية الحالية للثورة المعلوماتية، ستصبح القوة الناعمة ذات الأهمية في المزيج الذي يجمعها بالقوة العسكرية والاقتصادية[8]. وهي ليست عنصرا ثابتا بقيمة ثابتة، بل هي شيء يختلف باختلاف المكان والزمان، كونها عبارة عن رسائل وصور ينتقل جزء منها عن طريق سياسات الحكومة في الداخل والخارج، وجزء آخر عن طريق الثقافة الشعبية والثقافة العالمية، ولكن الرسائل نفسها يتم إنزالها وتفسيرها على متلقين مختلفين في سياق ظروف مختلفة فتترك آثارا مختلفة[9].

والبلدان التي يحتمل أن تصير أكثر جذبا وأن تكسب قوة ناعمة في عصر المعلومات هي التي تملك قنوات اتصال متعددة تساعد على تأطير القضايا، والتي تكون ثقافتها المسيطرة وأفكارها أقرب إلى المقاييس والأعراف العالمية السائدة (الليبرالية، والنزعة الجماعية والاستقلال الذاتي)[10]، وتتسع مصداقيتها بفعل قيمها وسياساتها المحلية والدولية[11].

فالسياسات الحكومية لبلد ما تعزز قوته الناعمة أو تبددها. ذلك لأن السياسات المحلية والخارجية التي تبدو منافقة، أو متغطرسة أو غير مبالية بالآخرين، أو قائمة على معالجة ضيق الأفق

---

(١) جوزيف س. ناي، **القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية**، (ترجمة محمد توفيق البجيريمي)، ط. ٢، (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠١٢)، ص ١٦٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٢.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٤٩.

(٧) المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٨) المرجع نفسه، ص ٥٩.

(٩) المرجع نفسه، ص ٧٧.

(١٠) إذا ما فتحنا قوسا آخر هنا فإن مسألة تقديم الإسلام بصورة إيجابية مسألة في غاية الأهمية هي الأخرى يتحمل المسلمون مسؤولية توصيله، والقيم كمادة خامة متوفرة في الشريعة الإسلامية والمشكلة فقط في كيفية (تسويقها) لتصبح جذابة.

(١١) المرجع نفسه، ص ٦١.

للمصلحة الوطنية قد تقوض القوة الناعمة[1].

الجاذبية السياسية:

يمكن اختصار القوة الناعمة في (الجاذبية السياسية)، وهذا ما تفتقده الدول العربية مجتمعة أو منفردة، إذ تعاني جلها من أزمات سياسية كبيرة جدا يدلل عليها حجم الحروب والاضطرابات الأمنية التي تعيشها، وهذه الأوضاع لا يمكن الحديث في ظلها عن جاذبية سياسية، لذلك فإن الاستقرار السياسي ومحاولة صياغة عقد اجتماعي جديد في كل الدول العربية ضرورة ملحة الآن للبدء في مشروع حضاري ينافس على المستوى العالمي.

وهذا الواقع المزري لا يعني الوقوف مكتوفي الأيدي والانتظار حتى ينجلي غبار الحروب في الدول العربية، وإنما لا بد من البحث في المجال السني بما قد يساهم على الأقل في إعاقة المشروع الإيراني الشيعي كمرحلة أولى ريثما يتم التقدم في المجال العربي. وفي هذه الحالة فإن النموذجين التركي والماليزي يعدان من التجارب المهمة التي استطاعت مزاحمة المشروع الإيراني في جاذبيته، حيث أضحت الكثير من الحركات الإسلامية تجد في الحالتين النموذج الأحسن لمحاكاته، والمحاولات في هذا المجال أكثر وضوحا واهتماما مقارنة بالحالة الإيرانية التي ترتبت عنها ردود أفعال قوية.

غير أننا نقف عند تضارب كبير جدا في المواقف من النموذجين داخل الحركات الإسلامية بشكل خاص والتيارات السياسية الأخرى بشكل عام، ومع سلبيات ذلك إلا أنه من جانب آخر يمكن النظر إليه من زاوية إيجابية حيث سيثمر هذا الجدل قراءات نقدية معمقة للتجربتين تستطيع في الأخير المزاوجة بينهما إضافة إلى التجارب العالمية الأخرى لإبداع نموذج أو نماذج تتوافق مع خصوصيات كل دولة أو مجتمع عربي، وقد كشفت الانتفاضات العربية عن رفض قطعي ومباشر للنموذج الإيراني الذي كان يستجدي من الحركات الإسلامية تقليده، وبغض النظر عن الأوضاع الحالية فإن تلك المواقف مؤشر على رؤية في الاتجاه الصحيح.

كما يمكن العمل على إحداث قطيعة مع عناصر الجاذبية في النموذج الإيراني على المستوى العام، وعلى مستوى التجمعات الشيعية في المنطقة، وهنا يمكن استغلال السياسات الإيرانية الطائفية وتناقضاتها بين ما تصرح به وما تقوم به على أرض الواقع من خدمة لأعداء الأمة، ويجب أن يستهدف في مرحلة تالية المجتمع الإيراني، والجهود المبذولة في نشر العقائد الإسلامية الصحيحة على محدوديتها تبين أن لها تأثيرا يمكن أن يكون أكبر بكثير إذا ما وضع ضمن استراتيجية شاملة.

فإذا كانت العقائد الشيعية على علّاتها استطاعت أن تجد لها موطئ قدم في البيئة السنية، وتجتذب في مرحلة من المراحل بعض النخب المثقفة وتجعلها في خدمة مشروعها، فإن عملية معاكسة يمكن أن تحقق أهدافا كبيرة جدا في ظرف قياسي، وهذا يتوقف على مدى الاجتهاد في رسم استراتيجيات تستثمر في التناقضات الشيعية/الشيعية، فضلا عن النشاط الدعوي الذي يبقى قاصرا عن تحقيق أهدافه إذا لم يكن بموازاته عمل يسد الثغرات في المجالات الأخرى، وأهمها هو فهم الطرف المستهدف بالخطاب والولوج إليه من خلال تلك المداخل، بل وفي ظل عصر المعلومات والمجالات المفتوحة فإنه يجب استحضار ذلك حتى في الخطاب الموجه للمتلقي الذي يحمل نفس القيم.

(١) المرجع نفسه، ص ٣٦.

والعقائد السنية في انسجامها وترابطها تسهل هذه العملية، وتبقى فقط بعض الإشكالات التاريخية التي حدثت في العصر الإسلامي المبكر تحتاج لجهود أكثر في طريقة عرضها بحيث يؤخذ في عين الاعتبار الخطاب الآخر وما يروجه حول الموضوع، وحبذا لو يستحضر الواقع السياسي الحالي والمواقف الظالمة الطاغية من طرف أصحاب المشروع الشيعي التي تتعارض جملة وتفصيلا مع المظلومية التي تشكل مرتكزهم الأساسي.

وبما أن القوة الناعمة الآخذة في اكتساب أهمية أكثر في عصر المعلومات هي في جزء منها ناتج عرضي اجتماعي واقتصادي أكثر منها نتيجة للعمل الحكومي الرسمي وحده[1].

وفي ظل العطب الذي تعاني منه جل الحكومات العربية، فمن هذه الزاوية فإن أي فرد في المجتمع بسلوكه وتمسكه بقيمه يمارس تأثيرا على الآخر، وأيضا على مستوى التنظيمات المجتمعية تستطيع الأحزاب السياسية والجمعيات الثقافية والعلمية والمؤسسات الدعوية النشطة المساهمة بطريقة أو أخرى في رفد القوة الناعمة العربية/السنية، إذ لا شك أنه على المدى المتوسط ومن خلال المراكمة ستظهر الكثير من النتائج الإيجابية. غير أن هذه الجهود المبعثرة تحتاج إلى شكل من التنظيم والتعاون لاختصار الوقت والاستغلال الأمثل لكل الطاقات حيث توضع كلها في استراتيجية بعيدة المدى، وذلك بوضع أرضية عمل استراتيجية للقوة الناعمة تتمثل في خلق شكل من التعاون المؤسسي الذي يحقق الانسجام والتكامل بين كل الجهود المتواجدة على الساحة، باستحداث هياكل جديدة تقوم بهذه المهمة على المستوى الداخلي أو الخارجي.

السياسة الخارجية:

عند الوقوف على طبيعة النظام السياسي الإيراني فإن أول ما يلفت الانتباه فيه هو منصب المرشد الأعلى للثورة، والذي يعتبر الرجل الأول في البلاد والأقوى فيها، ويستمد قوته من البعد الديني للمنصب باعتباره الولي الفقيه نائب الإمام، وخامنئي البالغ من العمر ٧٧ سنة يحتل هذا المنصب منذ قرابة ٢٥ سنة خلفا للخميني. كما أن أقوى المؤسسات بعده هي الحرس الثوري، وهو تشكيل عسكري يمارس القمع ضد المعارضة السياسية. هاتان الجزئيتان تنفيان (الجاذبية) عن النموذج الإيراني، كون ما يعاب على الأنظمة في المجال العربي يوجد ما هو أسوأ منه في الحالة الإيرانية، وعلى هذا الأساس فإن جوهر الانجذاب العربي خاصة مع بدايات الثورة في إيران يعود إلى سياستها الخارجية المعلنة، والمتمثلة في دعم القضية الفلسطينية، والذي بدأ يتآكل مع الموقف الإيراني من الثورة السورية وانكشافها على حقيقتها.

ولكن هذا الواقع لا يغير من حقيقة أخرى تتمثل في الموقف الرسمي العربي المتخاذل تجاه القضية الفلسطينية، والتي ستبقى لمركزيتها الدينية في الأمة أحد ثوابت القوة الناعمة التي لا يمكن الاستغناء عنها، وبحث الأنظمة العربية عن الشرعية الخارجية من خلال محاولة استرضاء الولايات المتحدة والغرب عموما لا يمكنه جلب المشروعية الداخلية، وكلما اقتربت هذه الأنظمة من الغرب عبر البوابة الفلسطينية فإنها تزيد بعدها عن شعوبها وتؤجل نهايتها لا أكثر.

فإذا كان الموقف الأمريكي من فلسطين والانحياز إلى الكيان الصهيوني أهم أسباب كره العرب للولايات المتحدة الأمريكية فإن كرههم للأنظمة العربية التي يفترض أنها تمثلهم ومعنية بالقضية مثلهم يكون بأضعاف مضاعفة. لذلك يتوجب على الدول العربية خاصة ذات الوزن الإقليمي إعادة النظر في سياستها الخارجية من القضية الفلسطينية أولا، ومن التحولات الجارية في المنطقة ثانيا، لأن محاولة تغيير مسار التطورات الكبيرة الجارية مع تصورات لمصالح ضيقة لبعض

(١) المرجع نفسه، ص ٦١.

الأنظمة هي حسابات خاسرة على المدى المتوسط والبعيد، ولابد من التكيف مع هذه التحولات بما يخدم الشعوب.

فالسياسات الخارجية المنتهجة حاليا ليست تبديدا للقوة الناعمة فحسب وإنما تهديد للأنظمة التي تعيش استقرارا ولها فرص كبيرة جدا لتغيير هادئ وسلس يجنب الشعوب ويلات التغييرات العنيفة وما يترتب عنها من تدمير للمقدرات المادية والبشرية للأوطان. ففي الموقف من فلسطين والانتفاضات الشعبية وتدخل بعض الدول في الشؤون الداخلية لدول أخرى بشكل مباشر تجتمع كل عناصر تآكل القوة الناعمة إذ تنتفي المصداقية والقيم الأخلاقية في هذه السياسات.

الخلاصة:

رأت إيران في الانتفاضات العربية هبة أخرى إلى جانب هبة سقوط نظامي طالبان وصدام حسين، وحاولت الاستثمار فيهما كعادتها، إلا أنها اصطدمت بانتقال الحركات الاحتجاجية إلى حليفها السوري، الأمر الذي أربكها كثيرا وجعلها تضطر مكرهة إلى الانحياز بشكل علني إلى جانب نظام الأسد والكشف عن طائفيتها، وحتى دفع حزب الله الذي كان أداتها لكسب قلوب الشعوب العربية إلى خوض المعركة من أجل بقاء نظام الأسد بالرغم من ضربه في صميم قوتها الناعمة عربيا. ولكن مع كل هذا لم تستسلم طهران لمجريات الأحداث، وإنما عملت على تحويل الانتفاضة الشعبية هناك إلى مجرد حرب بين النظام والجماعات الإرهابية ووضعها في إطار صراعها (المزعوم) مع الشيطانين الأكبر والأصغر، ونجحت في تحقيق أهدافها مستغلة تضارب المصالح الإقليمية والدولية في سوريا.

على الجانب الآخر لا نجد في المقابل رؤية استراتيجية مماثلة واضحة عربيا سواء بشكل فردي أو جماعي، بل وأكثر من ذلك فإن سياسات بعض الأنظمة كانت تصب في صالح إيران، دون أن تحقق أي مكاسب، حيث ساهمت التناقضات العربية في تشتيت جهود المعارضة السورية على سبيل المثال لا الحصر فأحدثت شروخا استغلتها إيران والنظام السوري أيما استغلال لدرجة أصبح فيها إسقاط نظام الأسد غير وارد بشكل نهائي في الخطاب الرسمي العربي، على عكس تركيا التي تعتبر معنية أكثر بالتهديدات الإرهابية هناك إلا أنها وضعت شروطا للمشاركة في الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية، وكان رئيسها رجب طيب أردوغان يدافع عن وجهة نظر بلاده مبرزا التناقضات في الخطاب الغربي وازدواجية المعايير لديه في المفاضلة بين إرهاب وآخر وضحايا وآخرين مما عزز القوة الناعمة لبلاده.

تأسيسا على كل هذا إذا لم تُعد الدول العربية على المستوى الحكومي وغير الحكومي النظر في ما يجري داخلها ومن حولها، فإن الحديث عن مواجهة المشروع الإيراني والشيعي بالتركيز على بعد واحد يتمثل في (الخطاب الدعوي الوعظي) يستحيل أن يحقق قيد أنملة من هذا الهدف، ولعل التمدد الحوثي في اليمن واندثار السلفيين من دماج مثال بسيط جدا على الفوارق الكبيرة بين المشروعين، والأخطر من هذا أن تنعكس الاختلالات في المجالات الأخرى خاصة السياسية منها على الخطاب الديني لأنها تنفي عنه البعد القيمي المتمحور حول المصداقية وتصوره على أنه مجرد أداة لأغراض مشبوهة أو خبيثة.

الأثر السياسي لجهود الصحابة في نشر الإسلام على مجتمعات إفريقيا: دولة الشيخ عثمان بن فودي نموذجا

د. محمد المنصور إبراهيم(*)– خاص بالراصد

مقدمة

لا شك أن قارة إفريقيا وطيدة الصلة بالدين الإسلامي، ذلك أنها القارة الأولى التي تمت إليها الهجرة في عهد الرسول ﷺ، وقد استقبل ملك الحبشة آنذاك المهاجرين من الصحابة خير استقبال ووفر لهم الحماية اللازمة(1).

ولقد كان للعلاقات الودية بين الرسول ﷺ وبين النجاشي ملك الحبشة والمعاملة الطيبة التي لقيها المسلمون المهاجرون إلى الحبشة أكبر الأثر في توثيق العلاقات بين الأفارقة وبين الإسلام. ثم توغل الإسلام في أعماق إفريقيا عن طريق الفتوحات التي كانت في عهد الدولة الأموية على يد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بقيادة وزيره ومساعده الصحابي عمرو بن العاص وكذلك المجاهد الكبير عقبة بن نافع وعدد غير قليل من الصحابة والمجاهدين. وقد حصل بين الأفارقة وبين الصحابة الفاتحين من التزاوج والتناسل ما مكن للإسلام ووطد أركانه في البلاد المفتوحة.

ومن ضمن ذلك ما ذكرته الروايات التاريخية من زواج عقبة بن نافع من ابنة أحد ملوك الأفارقة وهو «برمندانا» ملك غانا، وتسمى زوجته الإفريقية هذه مريم، وتلقب بـ (بجو منقو) بمعنى البنت الفريدة التي لم يلد أبواها سواها. وقد أنجبت له ستة أولاد، منهم عثمان تورو، ومن ذريته خرج ذلك العالم المجاهد الذي نشر السنة وحارب مظاهر الشرك والوثنية في غرب إفريقيا، وهو الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله تعالى عليه(2).

المقصود من هذا البحث إلقاء الضوء على بعض الآثار السياسية الدينية لجهود الصحابة متمثلة في دولة أحد أحفاد الصحابي الفاتح عقبة بن نافع؛ الدولة التي ظلت تحكم بالشريعة الإسلامية قرابة مائة عام، وظلت صامدة أمام هجمات الأعداء طوال قرن كامل قبل أن تقع فريسة للاحتلال الصليبي الإنجليزي عام ١٩٠٣م.

انتشار الإسلام في إفريقيا السوداء

كان هناك ثلاثة مسالك رئيسة للإسلام إلى إفريقيا السوداء:

١- عن طريق شمال إفريقيا عبر الصحراء إلى غانا القديمة.

٢- عن طريق النيل من مصر إلى السودان وما جاورها.

٣- عن طريق باب المندب إلى الصومال والحبشة ومناطق الشرق الأقصى من إفريقيا.

ورغم أهمية المصبين الأخيرين - عبر السودان والصومال- فإن مصب شمال إفريقيا عبر الصحراء نحو غرب إفريقيا ظل أكثر تأثيرا وأعظم مردودا، ولعل السبب في ذلك هو التقاء شمال إفريقيا - التي تعربت في النهاية - بإفريقيا السوداء(3).

وقد لقي القادة المسلمون عناء وشدة في تحويل شمال إفريقيا إلى منطقة إسلامية حيث دفع ثلة من خيرة رجالهم أرواحهم ثمنا لفتح هذه المنطقة. وما إن أتم الله للمسلمين فتح مصر حتى زحفوا متوغلين تلقاء أعماق الشمال، فدكت حوافر خيلهم برقة

(*) رئيس قسم البحوث بمركز الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا.

(1) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، طبعة رابطة العالم الإسلامي.

(2) محمد سمبو كلوى «kulwa» المتوفى عام١٨٢٠ هـ «كنز الأولاد في تاريخ الذراري والأجداد»، مخطوط في مكتبتي الخاصة. والفلاتي، الأستاذ الطيب عبدالرحيم محمد: «الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان» الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، دار الكتاب الكويتي، ص ١٧.

(3) صالح، عمر محمد: الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٩.

وطرابلس، واستمروا في تقدمهم داخل الشمال يفتحون البلاد وينشرون فيها الإسلام.

قيادة عقبة بن نافع لفتح شمال إفريقيا

أول من تولى قيادة خيول المسلمين نحو الشمال للجهاد هو القائد المعروف المشهور عقبة بن نافع الفهري بأمر من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وذلك حوالي عام ٥٠هـ، فكان تحت قيادته ما يقدر بعشرة آلاف فارس من جند الإسلام، وقد أسلم على يديه كثير من البربر بعد مواجهات عنيفة[١].

وعقبة بن نافع هو الذي بنى مدينة القيروان واتخذها قاعدة حربية تنطلق منها القوات الإسلامية، ويقال إنه قد توغل صوب الجنوب حتى وصل بلاد السودان الغربي وفتح بلاد التكرور وغانا القديمة[٢].

زواج عقبة من ابنة ملك غانا

يذكر الأستاذ الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي في كتابه «الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان»، أن عقبة صاهر «برمندانا» ملك غانا الذي أسلم على يده، وانتشرت ذريتهم في أرجاء أفريقيا[٣].

ويذكر الشيخ عبد الله بن فودي إجماع الفولان في غرب الأطلسي بأن جدهم هو عقبة بن نافع الفهري القرشي وأن أخوالهم التروبي يرتفع نسبهم إلى «روم بن عيص»، يعني إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، وينسبون الفولان الفوطيين إلى النبي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. ويلاحظ أن الأسماء التي تطلق على الفولان كلها أسماء لبطون وأفخاذ قبائل عربية[٤].

الشيخ عثمان بن فودي ودعوته الإصلاحية

اسمه ونسبه:

هو شيخ الإسلام العلاّمة عثمان بن محمد فودي (المعلّم باللغة الفلاتية) ابن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غورطو بن جبّو بن محمد ثنبو بن أيوب بن بابا بن موسى جُكُلُّو، الذي هاجر بجماعته من فوتاتورو إحدى عواصم الفلانيين الثلاث حينما وقعت ثورة عظيمة بتلك البلاد في القرن الثالث عشر الميلادي، قاصدين الحجاز، فوصل بعضهم إلى دارفور وباغرما واستوطنوها، وتأخر الباقون في بلاد الهوسا واختلطوا بهم حتى ظهر بينهم الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله تعالى عليه.

ولادته ونشأته:

ولد الشيخ عثمان في يوم الأحد ٢٩ من صفر عام ١١٧٩هـ الموافق ١٥ ديسمبر (كانون أول) عام ١٧٥٤م

في بلدة (طِفِل) على أطراف إقليم جوبر في ولاية صكتو شمال نيجيريا الحالية. ونشأ في أسرة علمية، وفتح عينيه على العلم منذ نعومة أظفاره. تعلم على يد والده ووالدته وجدته، ثم أخذ العلم عن فقهاء بلاده، ودرس على علماء زمانه، وتأثر جدا بشيخه جبريل بن عمر الذي كان شديد التمسك بالتوحيد والسنة وحربا على الشركيات والبدع. وكان الشيخ جبريل قد لقي عناء من قبل الطوارق فطردوه إلى أرض غوبر ثم حج مرتين ولقي عددا من أهل العلم والصلاح هناك وتأثر بالفكر الجهادي السائد هناك في ذلك الوقت، وقد لازمه الشيخ عثمان مدة في بلاد (آهير)، واستفاد من منهجه في الدعوة والتغيير، ومن محاسن الشيخ جبريل أنه أول من بايع تلميذه حينما تأهب لجهاد سلاطين بلاد

---

(١) الربع، صالح بن علي: عقبة بن نافع الفهري: حياته وجهاده، بدون بيانات مطبعية، ص ٣٧.

(٢) حسن، إبراهيم حسن، الدكتور، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ١ / ٥٢١.

(٣) الفلاتي، الأستاذ الطيب عبدالرحيم محمد: «الفلاتة في أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان»، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، دار الكتاب الكويتي، ص ١٧.

(٤) بن فودي، عبدالله: تزيين الورقات، ص ٢٠.

الهوسا وحرب الوثنية السائدة في ذلك الوقت[1].

شخصيته وأخلاقه

عرف الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه بالتقوى والصلاح مع غزارة العلم ورحابة الصدر وسعة الأفق والتأني الحكيم والعزم الحاسم، وكان خطيبا بليغا، فاضلا، حسن الخلق، جميل العشرة، كريم الصحبة. وكان – رحمة الله عليه – غاية في التواضع، وقّافا عند حدود الله.

عصره وبيئته

كانت حياة الشيخ عثمان رحمه الله في إمارة (غوبر) التي تعتبر أقوى إمارات الهوسا يومها، وشاهد ما يسود مجتمعه من فساد ديني وخُلقي وسياسي. ورغم أن بلاد الهوسا قد دخلها الإسلام في وقت مبكر وعمل بعض سلاطينها على تحكيم الإسلام في شؤون حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية إلا أنه مع مرور الزمن بدأ تيّار وثني يصاحب حركة التحول الواسعة التي شهدتها البلاد إلى الإسلام عبر مراحلها المختلفة[2].

وقد وردت إشارات مختلفة في مصادر متفرقة تدل على تقديسهم بعض الأشجار والأحجار وممارستهم السحر بنوعيه الأبيض والأسود وانتشار ذلك بين الناس. يقول أمير المؤمنين محمد بلّو في كتابه إنفاق الميسور: «لقد حدّثونا أن لسلاطينهم وأمرائهم مواطن يركبون إليها، ويذبحون بها، ويرشّون بالدماء على أبواب قريتهم، ولهم بيوت معظمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها، ويفعلون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل أيام الجاهلية. ولهم في ذلك أعياد يجتمعون فيها هم وقراؤهم وسلاطينهم وعامتهم لا يحضرها غيرهم، ويسمون ذلك عادة البلد، ويزعمون أن ذلك صدقات ليستعينوا بها على جلب المصالح ودرء المفاسد. فإذا لم تُفعل تلك العادة بطلت معايشهم وقلت أرزاقهم وضعفت شوكتهم، وتوارثوا هذه العوائد كابرا عن كابر»[3].

والذي يطالع كتاب الشيخ عثمان بن فودي المسمى «نور الألباب» يرى ما بلغ بهذه البلاد من الممارسات الشركية التي كادت تمحو آثار الإسلام بالكلية. ولذلك حكم على مجموعة من الأفعال بأن مرتكبيها كفار وإن صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون»[4].

أسلوبه في الدعوة والإصلاح

لقد اتبع الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه في محاولته لإصلاح الأوضاع الدينية والسياسية في هذه البلاد منهجا علميا دقيقا؛ وذلك بالتركيز على ثلاث قضايا رئيسة:

الأولى: العناية التامة بتعليم العامة أصول الدين ومسائل التوحيد، وإبعادهم عما يناقض هذه الأصول أو ينافي كمالها؛ فحذّر من عادات جاهلية وممارسات وثنية كالسحر ونحوه.

الثانية: التحذير من البدع الشيطانية والعادات المخالفة للشرع الإسلامي الحنيف.

الثالثة: محاربة فساد سلاطين بلاد الهوسا، ورفع الظلم والحيف عن الشعوب المغلوبة.

ولقد سعى الشيخ عثمان رحمه الله في سبيل تحقيق هذه القضايا إلى استقطاب مجموعة من الأتباع المخلصين كان معظمهم من غير قبيلته – كما يذكر أخوه عبد الله بن فودي – لنشر أفكاره وآرائه وتعاليمه الإصلاحية ودحض دعاوى المناوئين من علماء السوء.

وكان للشيخ مجلسان للعلم: أحدهما للتدريس وتكوين الكوادر العلمية والدعوية، ويخرج إليه بعد صلاة العصر والعشاء، يدرس التفسير والحديث والفقه والسلوك وسائر فنون العلم.

---

(١) المصدر السابق، ص ٩٤، وللمؤلف نفسه أيضا: موجز تاريخ نيجيريا، من منشورت دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) عمر، الدكتور محمد الثاني: الشيخ عثمان بن فودي واستعادة الهوية، مجلة البيان عدد ٢٦/١٠/٢٠١٠م.

(٣) محمد بل: إنفاق الميسور، ص ٣٤.

(٤) إبراهيم، الدكتور محمد المنصور: تحفة الأحباب بأدلة كتاب نور الألباب، مطبعة الإحسان، جوس، نيجيريا، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ص ٩.

والمجلس الآخر: للوعظ والتذكير لشحذ همم عامة الناس إلى الالتزام بالإسلام وتطبيق تعاليمه، يخرج له كل ليلة جمعة، ويحضره خلق كثير، رجالا ونساء.

كما كان يخرج إلى الآفاق القريبة والبلدان المجاورة للإفادة والوعظ أياما، ثم يرجع إلى بلده، حتى صار له صيت وشهرة، وصار يقصده الداني والقاصي، وتكون من المستمعين إليه والحاضرين لمجالسه فئة منتظمة سماها (الجماعة)، وهم الذين صاروا له أنصارا في دعوته الإصلاحية[1].

وعني بتأليف الرسائل والكتب العلمية والدعوية التي يتبين للقارئ من خلالها منهجه في دعوته وطريقته في تجديده لمعالم الدين. فمنها على سبيل المثال:

١- إحياء السنة وإخماد البدعة
٢- إرشاد أهل التفريط والإفراط إلى سواء الصراط
٣- بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في هذا الزمان
٤- حصن الأفهام من جيوش الأوهام
٥- تمييز المسلمين من الكافرين
٦- تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان
٧- تحذير أهل الإيمان من التشبه بأهل الكفر والعصيان
٨- نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان[2].

مراحل دعوته

تجدر الإشارة إلى أن الشيخ وجماعته اتبعوا في بداية دعوتهم أسلوب الابتعاد عن الاحتكاك بالسلطات السياسية، وعدم الاختلاط بها لكيلا تفرض عليهم هيمنتها وسطوتها السياسية ومنهجها الذي يخالف الشريعة الإسلامية، وحتى لا تدخل أيضا حالة من المواجهة مع هذه السلطات يكون ضحيتها الشيخ وجماعته. وتعتبر هذه المرحلة هي المرحلة الأولى التي مرت بها دعوة الشيخ عثمان بن فودي، وهي تحديدا ما بين عامي ١٧٧٤م و ١٨٠٣م.

ومن السمات المميزة لهذه الفترة تركيز الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله على دعوة الناس بكافة طبقاتهم إلى الله وتعليمهم المبادئ الأساسية للإسلام، ومحو الأمية الدينية ورفع مستوى الوعي الاجتماعي.

ويأتي في سياق هذه المرحلة مطالبة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله لحاكم غوبر (باوا جن غُوررزو) في

أول لقاء معه بعد صلاة عيد الأضحى في الفترة ١٨٨٩م بما يأتي:

١- أن يحترم الحاكم أصحاب العمائم (العلماء).
٢- ألا يقف في طريق أي شخص أو جماعة تريد الاستجابة لدعوته.
٣- أن يطلق سراح المسجونين.
٤- أن يمتنع الحاكم عن فرض الضرائب الباهضة على رعاياه.

ويرمي الشيخ من وراء هذه المطالب إلى أهداف سياسية بعيدة المدى، وليس في استطاعته أن يقوم بأكثر من الدعوة إلى الله، ثم إن مستوى التفكير والاعتقادات الدينية المخلوطة بالعادات الوثنية الجاهلية لا تسمح له أن يقوم بالخطاب السياسي في تلك الآونة؛ لأن عامة الناس تحتاج في تلك الفترة إلى تربية إسلامية صحيحة تبين لهم طبيعة وأركان الدين الإسلامية. ثم إن الدخول في معركة خاسرة مع دولة (غوبر) القوية وبقية ولايات الهوسا - في ذلك الوقت - تعني انتحار حركة الشيخ عثمان بن فودي قبل نضوج بذرتها، ويعني إخفاقها في الوصول إلى الأهداف السياسية التي رسمتها من قبل.

والمرحلة الثانية التي رافقت دعوة الشيخ عثمان

(١) عمر، الدكتور محمد الثاني: المصدر السابق.
(٢) إبراهيم، محمد المنصور: المصدر السابق، ص ٩.

رحمه الله والتي تبدأ من ١٨٠٤م إلى ١٨١٠م وبدأت بدخول الشيخ معركة مع سلاطين الهوسا بعد أن قويت شوكته، واستجاب لدعوته الشعب المقهور.

وكان الشيخ عثمان رحمه الله لا يتصل بالملوك في أول أمره، ولا يزورهم، لكن لما سمع أمير غوبر بأمره وبكثرة جماعته أرسل إليه يستحضره في جملة من العلماء، فحضره في جملة من حضره، ووعظه وطالبه بإقامة العدل بين رعيته وتطبيق أحكام الشريعة؛ فاستجاب له الأمير، وأدناه وقلده منصب الإفتاء، وبدأ بعض العلماء يضمرون له العداء والكراهية لما ناله من حظوة ومكانة عند الأمير، لكن مع ذلك استمر الشيخ يترقى عنده وتزداد جماعته، ويزداد تقديرهم له وطاعتهم إياه حتى بدأ الأمير يتوجس منه خيفة؛ فبدأ يغري الشيخ بالمال، ويستهويه بالعطاء، لكن الشيخ أبى أن ينساق وراء ذلك. فحاول اغتيال الشيخ في يوم عيد بعد أن استدعاه وبعض جماعته إلى قصره، لكن الله كفاهم شره فنجوا منه سالمين، إلا أن الملك استمر في استفزاز الشيخ للدخول معه في معركة مسلحة، وهاجم جماعة عبد الله الفلاني أحد أتباع الشيخ، ونكّل بهم، وقتل منهم الكثير، ونهب أموالهم، وهدد الشيخ بأن يفعل به مثل ذلك غير أن منيته عاجلته فمات (عام ١٧٨٩م) وخلفه ابنه يعقوب، وبعد وفاته (١٧٩٤م) ورث عرش الإمارة ابنه (نَفاتا)، ولم يُخف هذا الأخير عداوته للشيخ إلى حد التفكير في قتله، لكن الله دحض خطته، ومات في بضع سنين، وبالتحديد عام (١٨٠١م). وخلفه ابنه (يُونْفا)، وهو أشد عداء لمنهج الشيخ الدعوي وأكثر كراهية للإصلاح، فأعلن عداءه السافر للشيخ، وطالبه بالجلاء هو وجماعته، فخرج الشيخ مع جماعته من قرية (طغل) عام ١٢١٨هـ إلى قرية (قُدُو) ومعه خمسمائة، ثم تتابعت الهجرة إلى الشيخ حتى بلغوا خمسة آلاف شخص.

أرسل الأمير (يونفا) إلى الشيخ يعلن عليه الحرب، فبايعت الجماعة الشيخ، وأصبح قائدا وأميرا بعد أن كان إماما موجِّها. ومن هنا بدأ يدخل حروبا مع هذا الأمير إلى أن كتب الله له النصر، وأقام دولة إسلامية عاصمة خلافتها (صكتو)، وأذعنت له باقي إمارات الهوسا، بعضها عنوة وبعضها سلما، وبقي يحكم بلاد الهوسا حتى وافاه أجله رحمه الله[1].

وفاته وآثاره:

توفي الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله عام ١٢٣٣هـ الموافق ١٨١٨م بعد أن أعاد للإسلام مجده، وأدخل الدعوة السلفية المباركة إلى القلب الإفريقي، وأبقى للإسلام دولة قوية ظاهرة صامدة أمام هجمات الأعداء، حتى بعد وقوعها فريسة للاحتلال الصليبي بقيت القلوب حية مجاهدة، تقاوم الأعداء، وتحافظ على دينها وعزتها.

يقول الأستاذ أحمد محمد قاني رحمه الله عن حركة الشيخ عثمان المباركة: لقد تركت هذه الحركة بصمتها الفكرية والسياسية على مجتمعات غرب إفريقيا، وما زالت آثار هذه البصمات باقية وعالقة حتى الآن، ولا زالت معالمها تقف شامخة وشاهدة على عظمة هذه الدولة التي استمرت مائة عام منذ ١٨٠٤م وحتى دخول الاستعمار الأوروبي لتلك البلاد في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ونتج عن ذلك تقسيم الخلافة الصكتية إلى مناطق نفوذ للدول الاستعمارية، وكانت الخلافة الصكتية في فترة قصيرة قد نجحت في السيطرة على مساحة جغرافية كبيرة؛ حوالي ١٥٠ ألف ميل مربع، واستطاعت أن تقيم دولة كبيرة شاسعة الأطراف من تشاد إلى مالي شرقا وغربا وإلى ولاية أويو جنوبا[2].

تراثه العلمي:

أما عن تراث الشيخ عثمان بن فودي وأنصاره فهناك كمّ زاخر من المؤلفات سعدت به المكتبة الإسلامية من يراع هؤلاء المجاهدين. فللشيخ مما يؤثر من المؤلفات ما لا يقل عن مائة وخمسين كتابا

---

(١) الألوري، المصدر السابق، ص ١٠٥- ١٠٨.

(٢) قاني، أحمد محمد: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا. وراجع أيضا: شريف، عبدالعزيز: الإمام عثمان بن فودي: أعظم أمراء إفريقيا، موقع صيد الفوائد www.saaid.net

ورسالة أكثرها في مجال الدعوة إلى الإصلاح والعودة إلى التوحيد الصافي عن طريق منابع الإسلام الأصلية من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وكثير آخر منها في مجال التعليم والتثقيف وتزكية النفوس. ولكل من وزيريه ما يصل إلى هذا العدد أيضا من المؤلفات في شتى الفنون والعلوم. كما لابنته أسماء وغيرها من تلاميذه ما ينشرح له الصدر من المشاركات العلمية.

فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا، ورفع درجاتهم في المهديين، وجمعهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحشرنا في زمرتهم يوم الدين.

الخاتمة:

الصحابة رضي الله عنهم اعتنوا بقارة إفريقيا وإدخالها في حظيرة الإسلام عناية فائقة، خاصة في عهد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم، فزحفوا متوغلين في أعماق الشمال فدكت حوافر خيلهم برقة وطرابلس واستمروا في تقدمهم يفتحون البلاد وينشرون الإسلام، ثم توغلوا كذلك صوب الجنوب حتى وصلوا بلاد السودان الغربي وفتحوا بلاد التكرور ومملكة غانا القديمة. وقد استقر بعض الصحابة رضي الله عنهم في أفريقيا وانصهروا في البلاد المفتوحة وفي المجتمعات الإفريقية التي قبلت الإسلام، وهذا يتسق مع مبادئ الإسلام وأصوله التي منها المساواة بين البشر كما قال تعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات: ١٣]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب. ألا لا فضل لعربي على عجمي..»

ولم يكن المسلمون الفاتحون مدمرين للبلاد مستعبدين الناس لأنفسهم كحال المستعمرين، ودليل ذلك أن قائد الفتح الإسلامي عقبة بن نافع رضي الله عنه بنى في إفريقيا مدينة القيروان التي جعلها قاعدة حربية تنطلق منها الأعمال العسكرية للفاتحين المسلمين.

كان ظهور عثمان بن فودي - رحمة الله عليه - في مجتمع مسلم يسوده فساد ديني وأخلاقي وسياسي، فاهتم بتعليم الناس ومحاربة البدع والفساد السياسي، وتمكن من تربية طلابه تربية صالحة ومنتجة، جعلت منهم أناسا ينشطون لنشر الإسلام الصحيح.

ولما طلب ملك غوبر من ابن فودي مغادرة أرضه هاجر معه ما يزيد على ٥٠٠٠ شخص، ثم كروا معه مجاهدين حتى فتح الله على أيديهم بلاد الهوسا كلها، فسقطت تحت أيديهم كل ممالك الهوسا وإماراتها، رغم أنه لم يشن حربا على المجتمع المسلم ولا على الحكام المسلمين وإن كانوا ظالمين، وإنما عني بالوعظ والنصح والتعليم.

عمت دعوة الشيخ عثمان الإصلاحية جل بلاد التكرور، فانتشرت إلى تشاد شرقا، وإلى مالي غربا، وجنوبا إلى ولاية أويو في آخر شمال نيجيريا الآن. وهي مساحة تزيد على ٢٥٠ ألف كيلو متر مربع. بل تأسست في مالي دولة ماسينة على يد تلاميذ الشيخ عثمان، ووضعت أولى لبناتها في عاصمتها «حمد الله» سنة وفاته وهي عام ١٢٣٣هـ رحمه الله. وظلت دولة عثمان بن فودي قائمة على تطبيق الشريعة الإسلامية، وكانت لغتها الرسمية هي اللغة العربية؛ وساد الأمن في أرجاء البلاد، حتى إن كلابارتون لما ورد هذه الدولة كتب في تقريره أن المرأة في هذه الدولة تعبر من أول البلاد إلى آخرها وهي تحمل طبقا من ذهب ولا يعترضها أحد.

بعد عدة محاولات فاشلة نجح الاستعمار الإنجليزي في غزو مدينة سكتو عام ١٩٠٣م التي تأسست قبل ١٠٠ سنة، ومع ذلك فقد ظلت القلوب حية مجاهدة، تقاوم الأعداء، وتحافظ على دينها وعزتها. ولا زالت معالم التربية الإسلامية بارزة في أرضها.

سُنة العراق في تقارير المنظمات الحقوقية الدولية لعام ٢٠١٤

خاص بالراصد

شهد العراق خلال عام ٢٠١٤ تطورات متسارعة بدأت بفض الاعتصامات السنية بالقوة، واعتقال النائب أحمد العلواني في مدينة الرمادي، وبدأت الاشتباكات المسلحة بين العشائر والقوات الشيعية (الرسمية والمليشياوية) ثم دخول تنظيم داعش على خط المواجهة لتصبح محافظة الأنبار مسرحاً مفتوحاً لمواجهات دامية، ويتركز القصف شبه اليومي على مدينة الفلوجة.

وبعد سيطرة داعش على مدينة الموصل في ١٠ حزيران ٢٠١٤، ودعوة رئيس الحكومة آنذاك نوري المالكي لتشكيل جيش رديف من المتطوعين عُرف لاحقاً باسم (قوات الحشد الشعبي) تصاعدت عمليات العنف ضد السنة والتي جاءت أشبه ما تكون بردات فعل انتقامية أو في سياق مخطط تطهير معد سابقاً لكنه اتخذ من تمدد داعش ذريعة، كما حصل بعد تفجير مرقد سامراء في شباط ٢٠٠٦.

وقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن حدة التوتر الطائفي في بغداد ارتفعت بعد سقوط مدينة الموصل بيد داعش، وأن مشرحة بغداد تتلقى يوميا الكثير من الجثث معظمها مصابة بطلقات نارية بالرأس وأغلبيتهم من السنة وبعض علامات التعذيب بادية عليها.

تقول الصحيفة: (حينما تأتي العائلات إلى المشرحة بحثا عن ذويها، تتوجه إلى غرفة بها خمس شاشات تلفاز بعرض ٤٨ بوصة تعرض ما يمكن وصفه بأنه مشهد من الجحيم – حيث الجثث المتلئة بالرصاص تعرض واحدة تلو الأخرى.

في الوقت الراهن، لم تصل وتيرة الاغتيالات الطائفية إلى حد المذابح الجماعية التي شهدها عام ٢٠٠٥ وحتى عام ٢٠٠٧، حينما كانت المشرحة تتلقى ما يقرب من ١٠٠ جثة يوميا، ممن قتلوا خلال التفجيرات الانتحارية وأغلبها كان يعود إلى السنة الذين أعدموا بواسطة المليشيات الشيعية.

ومع ذلك، يطل شبح الماضي المريع ويكاد يفترس خواطر السنة في بغداد، الذين وجدوا أنفسهم وعلى نحو مفاجئ وسط المدينة التي يهيمن عليها الشيعة المهددون من قبل داعش.

خلال عمليات الاختطاف والقتل الأخيرة، يرى السنة في بغداد نذر الشر تلوح في الأفق، حيث يمكن للجدران التي بناها الأمريكان لحمايتهم، أن تكون سببا في حصارهم، مما يجعلهم فريسة هينة للميليشيات الشيعية المتحمسة الآن، والتي كان بعضها قد اغتالوا السكان السنة بالجملة خلال السنوات العجاف الخالية.

لقد توقف الكثيرون من السكان السنة عن الذهاب إلى أعمالهم خشية من نقاط التفتيش، حين انضم رجال الميليشيات الشيعية إلى قوات الجيش والشرطة العراقية. ويقول الكثيرون إن السيارات المحملة بأفراد الميليشيات الشيعية تجوب شوارعهم وأحياءهم ليلا، وهم يقذعون السكان السنة بأحط السباب؛ في حين يحاول العديد منهم مغادرة العراق.

تتزايد أعداد الرجال المخطوفين الذين تصل جثثهم إلى مشرحة بغداد بشكل مثير للقلق. وخلال الأسبوع الثالث من شهر يونيو (حزيران)، عثر في بغداد على ما لا يقل عن ٢١ جثة مجهولة الهوية، ومعظمها مصاب بطلق ناري في الرأس، على حد تصريح أحد مسؤولي الأمم المتحدة.

وقال السكان السنة في ستة أحياء داخل بغداد إنهم تعرضوا لمعاملة قاسية منذ سقوط الموصل بأيدي «داعش» في العاشر من يونيو (حزيران) وبينما استمرت عمليات الاختطاف والقتل في صفوف السنة لعدة شهور، إلا أنهم بدأوا

عقب سقوط الموصل بالشعور بأنهم صاروا مستهدفين نظرا لوضعهم الطائفي[1].

وقد أخذت هذه الأحداث حيزاً مهماً في تقارير المنظمات الحقوقية الدولية، وفي ما يلي نماذج منها:

الإساءة للسجينات السنيّات

ذكر تقرير منظمة هيومن رايتس ووتش بعنوان (لا أحد آمن: انتهاك حقوق المرأة في نظام العدالة الجنائية العراقي» (أن السلطات العراقية تحتجز آلاف السيدات العراقيات دون وجه حق وتخضع الكثيرات منهن للتعذيب وإساءة المعاملة، بما في ذلك الانتهاك الجنسي.

وكثيراً ما يلجأ القضاء العراقي الضعيف، المبتلى بالفساد، للاستناد في أحكام الإدانة إلى اعترافات منتزعة بالإكراه، كما تقصر إجراءات المحاكمات دون المعايير الدولية. وقد تعرض العديد من السيدات للاحتجاز طوال شهور أو حتى سنوات دون اتهام قبل العرض على قاض، وذكر التقرير أن الأغلبية الساحقة من السيدات الـ ٤٢٠٠ المحتجزات في مراكز تابعة لوزارتي الداخلية والدفاع تنتمي للطائفة السنية.

قتل جماعي للسجناء السنة

قالت هيومن رايتس ووتش إن قوات الأمن العراقية ومليشيات موالية للحكومة قامت على ما يبدو بإعدام ما لا يقل عن ٢٥٥ سجيناً في ست مدن وقرى عراقية دون وجه حق منذ ٩ يونيو/حزيران ٢٠١٤.

وتنتمي الأغلبية الساحقة من أفراد قوات الأمن والمليشيات إلى الطائفة الشيعية، بينما كان السجناء المقتولين من السنة، وكان ثمانية منهم على الأقل صبية دون الثامنة عشرة.

قال جو ستورك، نائب المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المنظمة: (يعد قتل السجناء مخالفة صارخة للقانون الدولي. وبينما يشجب العالم، عن حق، ما ترتكبه داعش من فظاعات، إلا أن عليه ألا يغضي الطرف عن نوبات القتل الطائفي التي ترتكبها القوات الحكومية والموالية لها).

مذبحة جامع مصعب بن عمير

وثقت منظمة هيومن رايتس ووتش أسماء ٣٤ سنياً قتلوا في هجوم مسلح على المسجد أثناء صلاة الجمعة يوم ٢٠١٤/٨/٢٢، وأسفر الهجوم حينها عن مقتل ٧٠ شخصاً فضلاً عن عشرات الجرحى[2]، ويقع المسجد في قرية إمام ويس غرب ناحية السعدية بمحافظة ديالى.

وقال جو ستورك نائب المدير التنفيذي لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المنظمة: إن الميليشيات الموالية للحكومة تزداد جرأة وتتزايد جرائمهم فظاعة. وقد اشتركت السلطات العراقية وحلفاء العراق على السواء في تجاهل هذا الهجوم المروع، وبعد ذلك **يتساءلون: لماذا اكتسب تنظيم الدولة الإسلامية المتشدد تلك الجاذبية وسط التجمعات السنية»؟.**

حكم المليشيات في العراق

في تقريرها المعنون بـ (Iraq: Absolute impunity: Militia rule in Iraq)[3] قالت منظمة العفو الدولية إن الميليشيات الشيعية التي تسلحها الحكومة العراقية، وتحظى بدعم منها، قد قامت باختطاف وقتل العشرات من المدنيين السنة، خلال الأشهر الأخيرة، مع إفلاتها التام من العقاب على جرائم الحرب هذه.

يورد التقرير تفاصيل مروعة للهجمات الطائفية التي تشنها الميليشيات الشيعية في بغداد وسامراء وكركوك، وهي التي ما انفكت تكتسب المزيد من القوة، وذلك ضمن ما يظهر أنه انتقام من

---

(١) نشر التقرير في بتاريخ (٢٠١٤/٦/٢٥) تحت عنوان (Shiite Violence Traps Baghdad's Sunnis, Haunted by a Grim Past).

(٢) صحيفة الحياة اللندنية، السبت ٢٣/٨/ ٢٠١٤.

(٣) نشر التقرير باللغة العربية أيضاً (إفلات تام من العقاب: حكم المليشيات في العراق) على موقعها بتاريخ ١٤/ ٢٠١٤/١٠.

هجمات داعش، ويُعتقد أن قائمة الميليشيات الشيعية المسؤولة عن سلسلة عمليات الاختطاف والقتل تتضمن ميليشيا عصائب أهل الحق وفيلق بدر وجيش المهدي وكتائب حزب الله.

كما وجهت المنظمة رسالة لرئيس الوزراء العراقي الجديد حيدر العبادي بتاريخ ٢٠١٤/٩/١٩، جاء فيها: (في العراق ثمة آلاف الأشخاص محتجزون بدون تهمة أو محاكمة؛ وقد احتُجز العديد منهم لعدة أسابيع أو أشهر، بينما احتجز آخرون لسنوات. وأغلبية المعتقلين هم من العراقيين السنَّة، الذين قُبض عليهم للاشتباه بأنهم أعضاء في الجماعات المسلحة السنية أو مؤازرون لها، ممن يقاتلون الحكومة. كما كانت زوجات وقريبات المطلوبين المشتبه بهم ضحايا للاعتقال التعسفي والتهديدات.

في عام ٢٠١٣ اعترف نائب رئيس الوزراء السابق حسين الشهرستاني بأن السلطات استمرت في احتجاز بعض المعتقلين بدون محاكمة على الرغم من أن المحاكم أصدرت أوامر بإطلاق سراحهم، كما استمرت في احتجاز سجناء آخرين بعد قضاء مدد أحكامهم التي فرضتها المحاكم.

وفي يونيو/حزيران ٢٠١٣ قالت بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) إن ١٦،٥١١ معتقلاً كانوا بانتظار المحاكمة.

ولا تزال قوات الأمن العراقية تنفذ عمليات اعتقال بدون مذكرات قضائية وبدون إبلاغ المعتقلين أو عائلاتهم بالتهم الموجهة إليهم، ويُحتجز المعتقلون بمعزل عن العالم الخارجي لعدة أسابيع أو أشهر، بما يصل إلى حد الاختفاء القسري، وعلاوةً على ذلك، فقد استخدمت سلطات الأمن بانتظام مراكز اعتقال سرية خاضعة لسيطرة وزارتيْ الداخلية والدفاع، وهي غير مفتوحة للتفتيش المستقل وغير محكومة بأنظمة رسمية لاحتجاز المعتقلين)[1].

أما منظمة هيومن رايتس ووتش فقد أصدرت تقريراً بعنوان (**مناطق الموت على يد المليشيات الموالية للحكومة**) وثقت فيه مقتل ٦١ رجلاً سنّياً بين ١ يونيو/حزيران و٩ يوليو/تموز ٢٠١٤ ومقتل ٤٨ على الأقل من الرجال السنّة في شهري مارس/آذار وأبريل/نيسان في القرى والبلدات المجاورة لبغداد والمعروفة باسم «حزام بغداد».

وقال شهود عيان ومصادر طبية وحكومية إن الميليشيات كانت المسؤولة في جميع حالات القتل، وقال شهود العيان في كثير من الحالات إنها ميليشيا عصائب أهل الحق التي يشار إليها باسم «العصائب».

استهداف السنة في جنوب العراق

أشار رئيس قسم حقوق الإنسان في بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي)، فرانسيسكو موتا في هذا الشأن قائلاً: منذ ٢٣ حزيران ٢٠١٤، لقي ما لا يقل عن ١٩ مدنياً سنياً مصرعهم وأُصيب ١٩ آخرون في موجة من عمليات القتل المستهدف والخطف، ولم يتم الإشارة الى العديد من هذه الحوادث في الإعلام، غير أن البعثة كانت قد تحققت من كل منها عبر مصادر متعددة. وقد عَبَّرَ المجتمع المحلي عن رأيه بخصوص كل حادثة من تلك الحوادث وهو أن السبب في استهداف الضحايا لم يكن سوى لعقيدتهم. وقد سجلت السلطات تلك الحوادث ضد «مسلحين مجهولين» ولم تتم أي عمليات اعتقال على صلة بأي من تلك الحوادث».

وأضاف السيد موتا: «لقد صدرت تهديداتٌ أيضاً من مصادر مجهولة ضد عدة جوامع ومنظمة سنية بارزة، محذرة السنة بضرورة مغادرة البصرة أو مواجهة الموت، وفي الأيام الأخيرة، تم وضع علامة (X) على منازل المواطنين السنة في بعض مناطق قضاء أبي الخصيب في محافظة البصرة وطلاء

(١) الرسالة موقعة من (آنا نيستات) المدير العام لبرنامج البحوث في المنظمة.

مـصابيح الإنـارة الخارجيـة بـاللون الأسـود. ونتيجـة لتلك التهديـدات، فـإن العديـد مـن أبنـاء الـسنة أخـذوا في مغادرة المنطقة[1]».

مذبحة قرية القراغول

وثّـق **مركـز بغـداد لحقـوق الإنـسان** أسمـاء ١٤ شخـصاً مـن عـشيرة القراغـول الـذين يقطنـون إحـدى قـرى قـضاء الـدجيل في محافظـة صـلاح الـدين، وقـد جـرت المذبحـة بعـد هجـوم لقـوات الجـيش وملیـشيا الحـشد الـشعبي علـى قريـة القراغـول يـوم الخمـيس ٢٠١٤/١١/١٣، وأسـفرت عـن تهجـير كـل عوائلـها الذين ينتمون لعشيرة القراغول.

[جـدول بـبعض حـوادث الاغتيـال الـتي تعـرض لهـا علماء وأئمة أهل السُنة خلال عامي ٢٠١٣ و ٢٠١٤]

٢٠١٣/١١/٨	فاروق سليمان كاظم الجوراني	مسجد محمد رسول الله – قضاء المقدادية (ديالى)
٢٠١٣/١٢/٢٨	د. بشار عواد البدراني	جامع المؤمن – الموصل الجديدة
٢٠١٣/١٢/٢٧	ماهر سالم المحمود	إمام وخطيب مسجد الحاج إياد - الموصل
٢٠١٤/١/٢١	إسماعيل خليفة الأركي	إمام مسجد الصديق – ناحية الوجيهية - ديالى
٢٠١٤/٢/١	عبد الله طه السامرائي	إمام مسجد المحمودية الكبير- جنوب بغداد
٢٠١٤/٤/٧	د. محمد جمعة أحمد السامرائي	إمام جامع الزبير، عميد كلية الإمام الأعظم - سامراء
٢٠١٤/٤/١٢	عبد المحسن زيدان الفهداوي	إمام جامع الصديق – منطقة زنكورة - الرمادي
حزيران ٢٠١٤	نهاد الجبوري	إمام مسجد الفتيان – السيدية - غرب بغداد
آب ٢٠١٤	كيلان عبد الله دهش الكرغولي	إمام جامع العزيز الغفار بالرضوانية – جنوب بغداد
تشرين الثاني ٢٠١٤	عدنان جلال مزيد الفهداوي	إمام مسجد دار السلام – الخالدية / الرمادي

(١) نشر البيان الصحفي في موقع يونامي (www.uniraq.org) بتاريخ ٢٠١٤/٨/٢٠ بعنوان (المبعوث الأممي يحذر من ازدياد استهداف الأقلية السنية في محافظة البصرة).

كيف أصبح العراق دولة شيعية؟

عبد العزيز بن صالح المحمود[*]– خاص بالراصد

مـا يجـري في العـراق اليـوم مـن مأسـاة رهيبـة تـشمل القتـل والـذبح والـتهجير وتغـيير لديمغرافيـة الـسـكان، لـيس هـو وليـد حالـة الاسـتعمار الأمريكـي سـنة ٢٠٠٣، أو أن دخـول الأمريكـان هـو مـن صـنع هـذه الحالـة فحـسب، وإنمـا كـان دخـولهم هـو مـن هـيج هـذه الحالـة وأيقظهـا مـن سـباتها، إن توصيـفا خاطئـا تمارسـه نخب سياسـية عراقيـة وعربيـة ترسـخه في الـوعي العـام وفي العـراقيين، وهـو توصيـف غـير دقيـق بعيـد عـن الواقـع، فثمـة مخطـط شـيعي في العـراق قـديم بـدأ منـذ قـرنين مـن الزمـان لتـشييع العـراق، وقـد رأيـت أن ألخّـص هـذا المخطـط بكلمـات يـسهل تـداولها، بعيـدا عـن البحـوث الكـبيرة الـتي لا غنـى عنهـا إلا للمتخصـصين، ووضـعتها في نقـاط كـي يسهل تناولها:

١- بـدأ المخطـط الـشيعي منـذ نهايـة القـرن الثـامن عـشر في عهـد الدولـة القاجاريـة الإيرانيـة الـشيعية وبـدعم حكـومي، وكـذلك بـدعم شخـصي مـن قبـل المراجـع الـشيعة مـن الفـرس والعـرب، بالتوجـه نحـو جنـوب العـراق لتـشييعه، وتـشييع القبائـل العربيـة الـتي تقطنـه، مـستغلة حالـة الفـراغ والجهـل الـتي كانـت تعيـشها المنطقـة، ويعـترف الكاتـب اليهـودي الأمريكـي إسـحاق النقـاش في كتابـه (شـيعة العـراق): أنـه (لـيس هنـاك دليـل يـشير الى أن الـشيعة اقتربـوا ذات يـوم مـن تـشكيل أكثريـة الـسكان في العـراق قبـل القـرن التاسـع عـشر بـل وحتـى القـرن

(*) كاتب عراقي.

العـشرين)[١]، وقـد نجـح المخطـط بتحويـل أكثـر الجنوب العراقي إلى شيعة في مطلع القرن العشرين.

٢- رغـم أن خـبر المخطـط لم يخـفَ علـى الدولـة العثمانية، فقد وصل لها وللسلطان عبد الحميد عبر تقارير المسؤولين العثمانيين، إلاّ أن الدولة والسلطان لم يحركا ساكنًا، وهو ما يحتاج إلى مزيد بحث في الوثائق العثمانية[٢].

٣- حـاول الـشيعة في ثـورة العـشرين أن يتـولى المراجع الشيعة حكم العراق، وبعد تشكل الدولة العراقية سنة ١٩٢١ رفضوا المشاركة إلا بشرط وهو أن تكون ملكية فيصل ملكية دستورية مما يجعله تابعا لقرار المرجعية الشيعية، وقد كان الشيعة يخططون لحكم العراق كله، لا الجنوب وحسب، أو تكوين دولة شيعية في الجنوب، لذا هددوا بالانفصال سنة ١٩٢٧ وليس تحصيل حقوقهم فقط كما يزعمون، وإنما أجهض ذلك المخطط ساسة أهل السنة لبقاء العراق موحدا، وكذلك الإنكليز لأغراض ذاتية.

٤- وبعد سنة ١٩٢١ وقيام الدولة الحديثة استمر المخطط لكن بوتيرة أبطأ؛ حيث بدأ زحف الشيعة نحو بغداد في منتصف الأربعينيات من القرن الماضي، بواسطة تهجير مجاميع كانت تتعرض لاضطهاد الإقطاعيين من المالكين، وسكنوا في الجانب الشرقي في بيوت مؤقتة بشكل عشوائي (منطقة خلف السدة) في منطقة الرصافة خلف سدة ناظم باشا، في عهد رئيس الوزراء الشيعي صالح جبر سنة ١٩٤٨م.

كان هؤلاء من طبقات مسحوقة، ومن مناطق متخلفة من منطقة الأهوار، أكثرهم جهلة من غير حملة الشهادات، يسمّون في المجتمع العراقي (الشروك) والمعدان، فكان هذا أول إسفين شيعي يدق في بغداد بغفلة من الحاكم والمحكوم، ثم تلتها ثورة ١٩٥٨ حيث أمر الرئيس عبد الكريم قاسم[٣] بتحويل المنطقة العشوائية إلى مدينة رسمية وسمّيت مدينة الثورة[٤]، وأصبحت هذه المدينة هي البؤرة المستقطبة للهجرات الشيعية الآتية من الجنوب، فظهر فيما بعد (حي التنك)، (الأورفلي)، (سبع قصور)، وكان هذا مسمار جحا الشيعي وسط بغداد السنية والذي ستظهر نتائجه الكارثية فيما بعد.

وفي بداية عهد حزب البعث سنة ١٩٦٨ حاول الرئيس العراقي أحمد حسن البكر أن يعيد سكان (مدينة الثورة) إلى أماكنهم التي قدموا منها، بعد شكاوى حول كثرة المجرمين في هذه المدينة وأنها تهدد التركيبة الاجتماعية لبغداد وذلك في بداية السبعينيات، وتعويضهم ببيوت وأشغال في مناطقهم الأصلية وقد تم القضاء على الإقطاع وظلمه، لكن اعترض على ذلك صدام حسين الذي كان يشغل منصب نائب الجمهورية بتسرعه المعهود، معللا أنهم جزء من الشعب العراقي وأن الحزب غير طائفي[٥].

وقد عملت المرجعيات والأحزاب والتوجهات الشيعية على خلق وزيادة الاحتقان الطائفي وبث روح الكراهية عند الجمهور الشيعي، وإنما منع ظهور ذلك الحكومات السنية منذ سنة ١٩٢١ والتي كبحت الطائفية ومنعت حصول أي احتكاك أو اقتتال بحزمها، حتى سقوط بغداد سنة ٢٠٠٣. لكنها لم توقف المخطط، وإنما ساهمت بتأخيره.

٥- وبعد اندلاع الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م تحركت الحكومة الإيرانية والأحزاب الشيعية لتأسيس دولة شيعية في العراق، ونتج عن ذلك اشتعال الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠- ١٩٨٨).

ولما كان أكثر جنود الجيش العراقي في الحرب العراقية الإيرانية من الشيعة، قام صدام حسين بمحاولة استمالة الشيعة المهاجرين في بغداد، فحول اسم مدينة الثورة إلى مدينة صدام، ليعطيها بعدا جديدا في فصل جديد من غباوة السياسي السني عن حقيقة المشروع الشيعي، بل زاد الطين بلة

(١) شيعة العراق، إسحاق النقاش.
(٢) أنظر مقالنا: السلطان عبد الحميد الثاني وموقفه من الشيعة وإيران، مجلة الراصد العدد ١٢٠، ١٤٣٤هـ.
(٣) سني والدته شيعية.
(٤) انظر مقال: أربعة مخططات أساسية لإحداث التغيير الديمغرافي في العراق(١)، عبد الهادي علي، الراصد العدد ١٠٧، سنة ١٤٣٣هـ.
(٥) هذه الحادثة رواها القيادي في حزب البعث ووزير الداخلية سمير الشيخلي.

عندما أسس أحياء جديدة كلها لشيعة الجنوب، عندما منح رتب نائب الضابط في الجيش والشرطة قطعا سكنية في بغداد، وهذه الرتب المتدنية هي أكثرها لأبناء الجنوب لأنهم غالبا بدون شهادات، وأصبحت مدن جديدة مثل: مدينة الأمين الأولى والثانية وحي الشرطة وغيرها من مدن بغداد، وكانت النتيجة صنع هجرة شيعية جديدة لبغداد.

٦- ساهم ضعف إدراك خطورة المخطط الشيعي والحس الأمني تجاهه عند الحكومة العراقية البعثية، في تهجير الشيعة لمناطق مدينة كركوك (محافظة التأميم)، ففي محاولة غبية لتعريب مدينة كركوك وتكثير العرب فيها، تم إصدار قرار بتشجيع سكنى العرب في كركوك، وكان أكثر الراغبين بذلك هم من الشيعة فتولّدت بؤرة شيعية جديدة في كركوك بذكاء حزب البعث، وعمقه!!

٧- عقب هزيمة صدام في حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١، حاول الشيعة التحرر عبر الانتفاضة الشعبانية، وكان ذلك واضحا في شعاراتها في أرجاء الجنوب، ومن أشهرها: (ماكو ولي إلا علي، ونريد قائد جعفري).

حينها انتعش الشيعة وأحس صدام حسين بخطر الشيعة على البلاد لكنه كان إحساسا متأخرا؛ لأن جناحه هضم وكسر بعد الحصار، وبدأ الضعف يدب إليه، فتحركت الأحزاب الدينية الشيعية في الجنوب، ورغم أن التقارير الأمنية كانت تتحدث عن تحركات لأحزاب شيعية، لكن لم يكن يُلقى لها بال؛ لأن الأهم عنده بقاؤه قائدا أوحد ورمزا، وقد كان الشيعة يلعبون دورا خطيرا حتى داخل المنظومة الأمنية بتسليط الضوء على الخطر السني الوهابي، وقد تبنى هذه السياسة شخصية صوفية بعثية غبية هو الرفيق (عزت الدوري)، فأخذ بمساندة شيعية خفية بمحاربة التيار الوحيد في العراق الذي يحارب التشيع ويفهم خطره ويستطيع منازلته والقضاء عليه، وهو التيار السلفي[1].

حتى وصل الحمق بالحزب وزعيمه صدام حسين أن أصدر في سنة ٢٠٠١ قرارا بإعدام من ينتمي للوهابية، فهو يترك التشيع ينتعش في البلاد لضعفه عن مقاومته وأخذ يحارب من يحارب التشيع؟! وكانت عاقبته أن أعدمه الشيعة بأيديهم. وأصدروا قرارا باجتثاث البعثيين السنة.

٨- عقب سقوط العراق سنة ٢٠٠٣م وظهور الحكم الشيعي واضحا مسنودا من قبل الأمريكان؛ لقبول المحتل بأكذوبة الشيعة أنهم الأكثرية وأنهم مظلومون ومحرومون، لذلك كانت نسبة الشيعة في مجلس الحكم ١٥ عنصرا من ٢٥ شخصا. جلّهم أعضاء في أحزاب دينية حاقدة على السنة والعراق وتابعة لإيران.

وكانت حصة السنة ٥ أشخاص، كلهم لا يمتون للسنة بصلة، اللّهم إلا الحزب الإسلامي، لكن بوجود قيادات غبية سنية دينية ووطنية ضاع أهل السنة أكثر وفقدنا حتى نسبة الـ ٢٠٪ من الحكم التي قررت للسنة.

٩- كان البعثيون وهيئة علماء المسلمين يرفضون المشاركة بالحكم تحت الاحتلال، كما فعل الشيعة سنة ١٩٢١، وهكذا خسرنا، كما خسروا من قبل، فضعف الوجود السني في ظل الحكم الشيعي والكردي، ومعلوم أنه رغم سنية الأكراد، إلا أنهم نتيجة الاضطهاد الذي سلط عليهم يحملون عُقدا قومية ولا يشعرون أنهم سنة، بل قوميتهم غلبت على هويتهم الدينية، وسيدرك الكرد خطر التشيع بعد حين. ولن تدعهم إيران حتى تشيّعهم.

١٠- في سنة ٢٠٠٦ وبعد حادثة تفجير مرقد العسكري بسامراء المفتعل إيرانيا، بدأ مسلسل تهجير أهل السنة من بغداد، حيث هجر الملايين منها لخارج البلاد وداخلها، وكان التيار الصدري أكبر مكون شيعي في العراق، وهو منفذ عملية

(١) لأن تيار الإخوان غافل عن هذا الخطر مع الأسف. منذ تأسيسه ليومنا، ويماثله حزب التحرير، أما الصوفية فهم قنطرة التشيع.

التهجير بواسطة ميليشاياته (جيش المهدي)، واليوم ظهرت ثمار مدينة الثورة التي بدأ المسلسل لها منذ سنة ١٩٤٨ لتجني ثماره سنة ٢٠٠٣.

فهل استيقظ السنة بعد هذه الضربات؟

والجواب: لا! فهيئة علماء المسلمين لا تزال ترى أن حقيقة الخلاف هو خلاف سياسي وليس طائفيا ولا دينيا، وأن الإيرانيين لهم تواجد وليس نفوذا، وإنما يروج الأمريكان ذلك ليخلقوا حربا طائفية!!!!!!

وحزب البعث وما شاكله من قوميين ووطنيين يؤمنون أن الشعب واحد وأن الاستعمار هو من فرّق، وأنه لا حقوق للسنة فالجميع مظلوم حتى الكردي اليوم مظلوم!

أما الإخوان المسلمون فمعركتهم هي مع العلمانية، فهم ضد حزب البعث، ويعتبرون حزب الدعوة أقرب لهم (كما يزعمون) فكريًا، كما أن حزبيتهم منعتهم من التعاون مع غيرهم من السنة.

أما المقاومة السنية (وأكثرها توجهات سلفية) لم تفهم اللعبة، وكان همّها مقاومة الأمريكان لأداء واجب جهاد الدفع دون نظر للمآلات، فكانت الضربات للجيش الأمريكي والثمار للشيعة وإيران، وقامت سوريا باحتضانهم لتكمل معهم مسلسل سذاجة الإسلاميين. ولتكمل الخطة مع إيران، بطرد الأمريكان والسيطرة على العراقيين.

جاء ظهور القاعدة وأخواتها في العراق وكأنه أمر مدبر، فالثور الهائج كان من السهل جدا على إيران أن تروضه، وقد فعلت ذلك قبل الاحتلال الأمريكي للعراق (بعد احتلال أفغانستان سنة ٢٠٠١)، وأصبحت أفعال هؤلاء تساهم بقوة وتعجل في سيطرة القوى الشيعية الديمغرافية على مناطق أهل السنة، وأصبحوا الشماعة الجاهزة لتبرير المخططات ضد السنة في العراق وسوريا ليومنا هذا، فيكفي الميلشيات الشيعية لتسيطر على منطقة ما أن تتواجد بها القاعدة، لتكون ذريعة لتواجد الميلشيات الشيعية وتهجير السنة، وهكذا دواليك.

١١- أصبح العراق بعد فوز المالكي بالولاية الثانية سنة ٢٠١٠م، شيعيا بامتياز، فتعداد الجيش والشرطة أكثر من مليون عنصر شيعي، والمقاومة توقفت تقريبا وهي تجلس في سوريا تضرب أخماسا بأسداس، وهيئة علماء المسلمين كانت تروج أنه بعد الانسحاب الأمريكي ستهرب القوى التابعة للاحتلال، بينما كانت سوريا وإيران والشيعة في العراق يخططون بذكاء بإيجاد طبقة سنية تابعة لهم من رؤوس العشائر ومن كل التوجهات، وهؤلاء هم سنة الحكم الشيعي اليوم إلا من رحم الله.

من جهة أخرى أُبقيت المناطق السنية رخوة تتواجد القاعدة فيها بشكل محدود وضعيف ومسيطر عليه، ولكن بقيت التفجيرات مستمرة لتكون ذريعة للاعتقال السني، حتى ضمت السجون أكثر من مائة ألف سجين سني (رجالا ونساء) تحت التعذيب والإهانة الجسدية والجنسية.

والهيئة كانت تنتظر سنة ٢٠١١ موعد الانسحاب الأمريكي من العراق لتبشّر الناس أن أتباع إيران وأمريكا سيخرجون بخروج المحتل، فكانت من أجمل نكات الموسم!!!

وفعلا خرج المحتل وتمكّن المالكي أكثر من ذي قبل، وأصبح هذا الشعب السني المخدوع حيران، شعب بلا قيادة ولا انتماء. وحزب البعث يبشّر العراق بتحريره من زاخو إلى الفاو، ومعركتنا هي الإنقاذ الشيعي والكردي لإنقاذ الوطن!!

١٢- مارس المالكي الدور بذكاء مع إيران فوُجدت داعش في سوريا ثم العراق، كانت داعش تتمول في الموصل من أهلنا السنة رغم وجود ٣٠ ألف عسكري شيعي يضرب أهل السنة ويدع هؤلاء يجبون أموالا شهرية تصل إلى ٧ ملايين دولار، ويقتلون المخالف، ويفجرون ويمكنون للتشيع. بل كشف أن التفجيرات كانت تنفذ من قبل الحكومة وإيران وشماعة القاعدة جاهزة ومواقعها جاهزة لتبني أي هجوم.

١٣- بعد الثورة السورية كانت إيران في مأزق وهي تلاحظ أنّ البساط يُسحب من تحتها بسقوط حليفها بشار الأسد (النصيري) وعودة الحكم للسنة (الأكثرية)، وأن حزب الله يخسر، فكانت معركتها الأولى هناك، وأمرت إيران المالكي بأن

يدعم سوريا بالمال لسد العجز المالي، والبشرى، فكانت كتائب أبي الفضل العباس، وعصائب أهل الحق. لكن الأمر الأكبر كان صناعة نوع من أنواع القاعدة والمساهمة بذلك لإفشال الثورة السورية، كان أكثر قاعدة العراق الزرقاوية في السجون وعندها لعبت مخابرات المالكي لعبتها لتهريبهم من السجون لينتجوا مكونا جديدا مساهما بإجهاض الثورة السورية. فقامت النصرة وداعش ربيبة القاعدة[1] بتخريب الثورة السورية وإرجاعها لمربعات متأخرة، وكان هذا مصلحة مشتركة بين روسيا وأمريكا وإيران وإسرائيل، كل حسب مراده وهدفه.

١٤- في هذه المرحلة بدأت محاولات سنية للقيام بثورة من المظاهرات السلمية في المحافظات السنية مطالبة بحقوقها بداية من ٢٠١٢ استمرت سنة، ولم يُستجب لها، بل استخدموا القاعدة لإفسادها، وفعلا اعتقل النائب السني أحمد العلواني، وتحولت إلى حرب طاحنة بين الحكومة والسنة في الأنبار وذلك في بداية سنة ٢٠١٤.

١٥- تكونت داعش واخترقتها قبل ذلك دول عربية وأجنبية وأصبحت متاحة، وهجمت في العراق يوم ٢٠١٤/٦/١٠ بترتيب عالمي أمريكي لخلط الأوراق في العراق لتعود من جديد لاحتلاله أو ترتيبه بما يصب في مصلحتها.

١٦- احتلت داعش مدينة الموصل وجميع محافظة نينوى، ومن ثم احتلت محافظة صلاح الدين، وقسما كبيرا من الأنبار وجزءا من ديالى، وكان بإمكانها أن تُسقط بغداد؛ لأن الجيش الشيعي هزم واندحر، وكان سقوط بغداد ممكنا عسكريا، لكن الأوامر لم تأتِ بهذا!!

كانت ردة الفعل الشيعية والعراقية الحكومية والإيرانية واسعة؛ فقد صدر القرار فورا من المرجعية بتشكيل قوات الحشد الشعبي (الشيعي) لمقاومة داعش (السنة) وتحركت الميليشيات الشيعية والأحزاب كعصائب أهل الحق وأبي الفضل العباس، وسرايا السلام من الميليشيات، ودخلوا المناطق السنية ليهجروا أكثر من مليون ونصف داخل العراق، كلهم سنة، في حملة جديدة، من حرق جثث والتمثيل بها بذريعة محاربة داعش، والأمر مستمر لساعة كتابة هذه السطور!!

هذه مأساة أهل السنة في العراق، لكن كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾، إن عدم الوعي الذي كان عند الدولة العثمانية أولاً، ثم ظهور الدولة الوطنية، والقومية، وتمرير المخطط الشيعي ببطء، ثم ظهور ثورة الخميني وبداية تصدير الثورة مع بروز الدور والحكم القومي (حزب البعث) ثم احتلال العراق سنة ٢٠٠٣م، وفي كل هذه الأدوار والعراقيون بكل أطيافهم نائمون على المخطط حتى أهل الدين منهم، فقيادات أهل الدين الشيعية واعية للمخطط الشيعي، لكن قياداتنا الدينية والوطنية والقومية والعشائرية تغط في نومها، ولم تستيقظ من وسنها بعد. وإلى الله المشتكى.

الفرصة التي قد لا تعوض:

إننا اليوم وقد اكتمل المخطط الغربي الذي يريد من هذه الحرب الشعواء الطائفية، أن يقسمنا إلى دويلات، ويمعن بتسليط هؤلاء الشيعة علينا، إلى أن نرضخ إما بالفيدرالية أو التقسيم، التي تقاومها إيران والحكومة الشيعية، ويفرح لها الكرد، ونقاومه نحن السنة لأننا نطمع أن يرجع العراق بلدا واحدا بعيدا عن متناول الشيعة، بما يشبه أحلام العصافير.

بدأ العالم بمخطط حرب داعش للضغط لتنفيذ هذا المشروع في رؤيا غربية صهيونية مشتركة، والذي يهمنا في هذا، أن إيران فهمت اللعبة فقاومتها من جانب وتريد أن تحصل على حدود دولة أو منطقة شيعية كبيرة؛ لذلك تحتل مناطق وتهجر أخرى تمهيدا لتكبير أرضها، فهل يعي السنة هذا المخطط الأخير؟

---

(١) ساهم حزب البعث العراقي بواسطة جناح يونس الأحمد العراقي في سوريا سنة ٢٠٠٧ بعد ظهور الصحوات في العراق وبالتعامل مع فوزي الراوي، والمخابرات السورية بتأسيس قاعدة لهم وإختراقها وآتت ثمارها، بعد الثورة. وقالوا يومها: سنقاتل بآخر مجاهد سلفي الأمريكان.

القاديانية وثائق ومشاهدات

عرض: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

عادت القاديانية أو الجماعة الأحمدية من جديد لتغزو البلاد العربية بقوة عبر فضائيتها (mta) وعبر نشاطها المكثف تحت عدة يافطات لجمعيات ومؤسسات غير صريحة في بلادنا العربية.

ومما يساعد القاديانية أو الأحمدية على اختراق الوسط السني المظهر العام لهم والمشابه للمسلمين ورفعهم شعارات إسلامية ككلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ونقاشهم للنصارى في قناتهم وأحاديثهم، وهي أمور تخدع البسطاء من المسلمين.

(*) كاتب أردني.

د. خالد زهري من المغرب والمتخصص في الدراسات المقارنة بين المذاهب والأديان دوّن لنا تجربته الحديثة مع القاديانية عبر صفحات كتابه هذا، والذي صدر عن دار الفتح في عمان في ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط وصدرت طبعته الأولى في عام ٢٠١٢.

وبرغم تخصص المؤلف في الفكر الإسلامي ومقارنة المذاهب والأديان، إلا أنه حين قابل دعاة القاديانية وطالع كتبهم المبشرة والداعية لدينهم ونحلتهم تحيّر في التوفيق بين ما دوّنه علماء المسلمين من كافة البلاد حول التحذير من كفر وزندقة الأحمدية وبين ما يقوله دعاة وكتب القاديانية، وظن أن كلام علماء المسلمين قد يكون فيه ظلم وتجنٍ على القاديانية!

فلجأ د. زهري إلى مراسلة مركز القاديانية في لندن ليرسلوا له كتبهم ومراجعهم، وكانت نتيجة مطالعته لها أن ما فيها يوحي بأنهم مسلمون، وأن تكفيرهم قد يكون لا وجه له!

فلجأ د. زهري إلى زيارتهم في مركزهم

ومخالطتهم، ليقف على حقيقة التناقض بين كلام علماء المسلمين المخالطين لهم خاصة في باكستان حيث أظهر أحمد ميرزا القادياني دعوته في عام ١٨٨٠م تقريبا، وبين ما وصله من كتبهم ودعوتهم التي لا تظهر ما كفّرهم عليه العلماء من ادّعاء النبوة وتحريف القرآن الكريم بالتأويلات المنكرة.

وفعلا سافر المؤلف في صيف ٢٠٠٧ للندن لحضور اجتماعهم السنوي والذي يسمى (جلسة سالانه) والذي يجتمع فيه القاديانيون من مختلف دول العالم، لتجديد البيعة لخليفة مهديهم، ثم اتبعها بزيارة ثانية في العشر الأواخر من رمضان من نفس العام، التقى فيها الخليفة وكبار زعمائهم.

تتبع أهمية الكتاب من مؤلفه المتخصص بمقارنة الأديان وصاحب الخلفية الأشعرية المالكية، ومن كون الكتاب تسجيلا لوقائع علاقة مباشرة مع قادة القاديانية، وليس إعادة ترتيب للمعلومات عن القاديانية المبثوثة في الكتب الأولى في نقد وفضح القاديانية، وكون هذه اللقاءات حدثت قبل سنوات معدودة، يجعل معلوماته وأخباره طازجة وجديدة بخلاف الكتب والمصادر التي مضى عليها عشرات السنين، وميزة ثالثة هي فحص وتمحيص دعايات ومزاعم القاديانية مع واقعهم الحقيقي مما كشف مقدار الكذب والخداع والتلبيس الذي يمارسه القاديانيون، ودقة وسلامة كلام علماء المسلمين الذين كان لهم شرف المبادرة لحماية المسلمين من ضلالهم.

سبق للمؤلف أن كتب عن القاديانية مقالة بعنوان «القاديانية: رؤية نقدية من الداخل» نشرها في جريدة المساء المغربية في عام ٢٠١٠، فتدفقت عليه رسائل تهديد من القاديانيين، واتهامات له بالكذب والتزوير عليهم، فجاء هذا الكتاب ليظهر لهم الحقيقة بالدليل، واقتصر فيه المؤلف على ما وقف عليه بنفسه من عقائد القاديانيين وليس كل عقائد القاديانية حتى لا يتضخم حجم الكتاب، واهتم بتدوين ما لم تتطرق له المؤلفات السابقة ووقف عليه من خلال مخالطتهم المباشرة.

فضح د. زهري خداع دعاة القاديانية في نفيهم ادعاء الميرزا للنبوة، حيث يلجأون لزعم أن المقصود هو النبوة الظلية، التي تساوي الولاية أو الوراثة لعلم النبوة، وهو أسلوب لجأ إليه الميرزا نفسه، لكن هذه كذبة صلعاء، فالميرزا ذكر هذه الحجة في كتاب زعم أنه وحي إلهي!! والصحيح أن القادياني والقاديانيين يؤمنون بأنه نبي ويصدر الأحكام، وقد صرح للمؤلف بذلك عدد من القاديانيين، وهو المتفق مع كثير من أقوال الميرزا وخلفائه، وقد قسم المؤلف ادعاء الميرزا للنبوة لستة مستويات، هي: ادعاؤه أن الله تعالى أنزل عليه معجزات، ادعاؤه نزول جبريل عليه بالوحي، ادعاؤه أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، تصريحه أن الوحي الإلهي نزل عليه من الله تعالى مباشرة وأن الوحي أخبره أنه نبي، تصريحه أن الله تعالى أوحى إليه أنه رسول ومرسل، ادعاؤه أن ما يوحى إليه مساوٍ للقرآن الكريم.

وقد أورد المؤلف أمثلة من كلام الميرزا على كل مستوى من المستويات، منها قول الميرزا: «إن الله سماني نبيا بوحي، وكذا سميت من قبل على لسان رسولنا المصطفى» (كتابة الاستفتاء، ص ١٤)، ثم توقف لفضح (الوحي) المزعوم فإذا هو سجع ثقيل، ومقاطع مسروقة من مقامات الهمذاني والحريري، ومصطلحات لابن عربي والحكيم الترمذي، وكتب الأمثال.

ويلجأ القاديانيون إلى نفي نبوة الميرزا من خلال إظهار مقاطع نادرة من كلام الميرزا ينفي

فيها النبوة عن نفسه، وواضح من تجربة المؤلف أنها مقاطع وضعت على سبيل التقية كالشيعة، لأن الكثير من القاديانيين صرحوا له بنبوة الميرزا، وعشرات المواضع في كلام الميرزا تصرح بنبوته، وكذلك كلام خلفائه وأتباعه، كما جاء في مقدمة كتاب «نبوءات لسيدنا أحمد عليه السلام يشكك فيها المعارضون: دراسة نقدية»، قول الناشر: «ولما كان الإمام المهدي، والمسيح الموعود، رسولا مكلفا من لدن الله جل جلاله، فقد تلقى حضرته كثيرا من الوحي الإلهي».

كما أن المؤلف لاحظ شدة حرص القاديانيين على الصلاة على الميرزا كلما ذكر دون بقية الأنبياء، وإنكارهم على المؤلف عدم الصلاة على الميرزا، فضلا عن أنهم ينكرون معجزات الأنبياء ويؤولونها تأويلات فاسدة، بخلاف الميرزا الذي يثبتون له آلاف المعجزات!

ثم تناول المؤلف تحريف القادياني للقرآن الكريم بالتأويل الفاسد، فهو يزعم أنه هو المقصود في قوله تعالى: ﴿إني جاعلك في الأرض خليفة﴾، وأنه هو عيسى بن مريم الذي رفع إلى السماء، وأنه هو الذي أُعطي الكوثر وآيات عديدة، وهذا تحريف للقرآن الكريم، وتلاعب يدل على قلة دين وتقوى.

ثم تناول المؤلف معجزات الميرزا فإذا هي خزعبلات وخرافات، فهو يزعم أن بعض كتبه وحي إلهي، ثم ينسى فيصفها بأنها أبحاث ونتائج جهود مضنية!! وفضلا عن ركاكة وحيه المعجز فهو مليء بالأخطاء النحوية، بخلاف القرآن الكريم الذي هو عمدة النحو العربي الفصيح، وتكثر الأخطاء في وحيه في الأسماء والأخبار.

وأورد المؤلف نصوصا من طامات القادياني فيها وصف لله تعالى بصفات النقص كنسبته الفطر والصوم والخطأ والجهل لله جل جلاله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ثم يتجاوز القادياني كل الحدود ويدعي الألوهية في قوله: «رأيتني في المنام عين الله، وتيقنت أنني هو، وكانت الألوهية نفذت في عروقي، وبينما أنا في هذه الحالة، كنت أقول: إنا نريد نظاما جديدا، سماء جديدة، وأرضا جديدة، فخلقت السماوات والأرض» (التذكرة ص ١٩٥).

ومن مصائب القادياني إلغاء فريضة الجهاد، وانضواؤه تحت لواء الاستعمار البريطاني في الهند، وتعاون أتباعه مع اليهود في فلسطين دون التفات لجريمة اليهود في احتلال فلسطين وتهجير وقتل أهلها، بل هم يزعمون أن استيلاء اليهود على فلسطين نبوءة للميرزا، وينقل المؤلف عن قادياني مغربي أنهم يعتقدون أن خلاص فلسطين هو بإيمان اليهود بالميرزا مسيحا مخلصا، وأن هذا هو سبيل تحرير فلسطين وليس الجهاد!

وينبّه المؤلف على قضية خطيرة وهي من لوازم ادعاء الميرزا النبوة، وتلقب من وراءه بلقب الخليفة، أن هذا يجعل من القاديانيين جماعة منفصلة عن محيطها الوطني وتتبع مقر الخلافة، وتتبع قيادة خارجية تكفّر كل من لا يؤمن بمهديها نبيا، فضلا عن تصريحهم بالعمل لإقامة حكومة عالمية، يقول خليفتهم الرابع: «وفقنا الله لرفع راية الإسلام فوق قصور أقوى حكومات العالم، وفي أقرب وقت ممكن»، (كتابه زهق الباطل، ص ٤٨٥).

وفي الختام يؤكد المؤلف أن القاديانية تعادي الإسلام والمسلمين، وأن أكاذيبهم بحب العرب هي للخداع والتسلل بيننا، ولذلك يرى المؤلف بعد تجربته أن القاديانية أخطر من البهائية لأنها تتستر بالإسلام.

سنة إيران لا بواكي لهم

قالوا: في رسالة مفتوحة إلى المدير العام الجديد لهيئة الإذاعة والتلفزيون الإيراني محمد سرافراز، انتقد فيها «انتهاك حقوق الأقليات القومية والدينية في الإعلام الرسمي وعدم منحهم الفرصة لإبراز هويتهم القومية ومذاهبهم وأزيائهم المحلية ولغاتهم الأم وثقافاتهم القومية». ويتمنى «أن لا تتم الإساءة للقوميات والأديان في الإعلام الرسمي (الإيراني) من خلال الأفلام والمسلسلات وسائر البرامج التي تبث في الإذاعة والتلفزيون». وقال «أرجو أن يتم بث أذان أهل السنة في أوقاتها في المناطق التي يقطنها السنة، كما يجب أن يتم إنتاج برامج للتعريف بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم الأم في برامج الإذاعة والتلفزيون». وأضاف: «يجب على مسؤولي الإعلام أن يبتعدوا عن النعرات الطائفية والفئوية والحزبية وأن يثبتوا حياديتهم تجاه جميع المواطنين». وتشير الإحصائيات إلى أن تعداد السنة في إيران يتجاوز الـ ٢٠ مليون نسمة، وينتمي هؤلاء إلى عرقيات مختلفة كالبلوش والتركمان والعرب والفرس.

موقع الشيخ عبد الحميد إسماعيل زهي، إمام أهل السنة في زاهدان
عاصمة إقليم بلوشستان السني الذي تحتله إيران

الحوَل المدمر

قالوا: ١٣مليون شهيد وجريح ومعتقل ومشرد على يد بشار، ولم يدخل بقائمة منظمات الإرهاب الإماراتية سوى لواء العباس بينما أدخلت ٢٢ جماعة مناصرة للسوريين!!

صويان الهاجري – تويتر ٢٠١٤/١١/١٦

عميل جديد

قالوا: «على غرار حسن شحاتة، أحمد كريمة، غرسُ إيران بمصر لنشر التشيع، لكن بأسلوب مختلف وبتلبيس على العوام بعمامة الأزهر».

وكان كريمة زار في إيران المرجع مكارم الشيرازي وقبّل رأسه، وهو مؤلف كتاب «الشذوذ الجنسي عند عمر بن الخطاب»، وصاحب فتوى إقامة مولد لأبي لؤلؤة المجوسي قاتل عمر.

الصفحة الرسمية لقناة وصال على تويتر
٢٠١٤/١١/١٦

الموازين المائلة

قالوا: اليوم ما يقارب ٢٤ مقالا عن حادثة الدالوة (الهجوم على حسينية بالإحساء) أغلبها تحت بند (الطائفية) أما إطلاق النار على جنود في العوامية بالأمس لا أسمع لا أرى لا أتكلم!!

الشيخ عبدالله زقيل،
تويتر ٢٠١٤/١١/١٣

متى يفهمون؟

قالوا: «الفصل بين الدين والدولة في إسرائيل مستحيل».

رئيس الدولة اليهودية شمعون بيريز،
٢٠١٤/١١/١٠

الطيور على أشكالها تقع

قالوا: ذكرت تقارير إعلامية برازيلية أن منظمة حزب اللّه اللبنانية لها علاقات وثيقة مع عصابات الجريمة المنظمة (المافيا) في البرازيل.

وأوضحت صحيفة «أو جلوبو» البرازيلية، استناداً إلى مستندات تحقيق شرطية، أن منظمة حزب اللّه تتعاون منذ ٢٠٠٦ مع عصابة «بريميروكوماندو دو لا كابيتال»،

المعروفة اختصاراً بأحرف «بي سي سي».

ووفقاً لهذه المستندات، فإن عصابة «بي سي سي» وفرت الحماية لأعضاء في الحزب مسجونين داخل سجون خاضعة لسيطرة العصابة مقابل إمداد الحزب لأفراد العصابة بالسلاح.

وتابعت المستندات أن التعاون بين الجانبين تركز في البرازيل والأرجنتين وباراغواي، ووصفت المستندات هذا التعاون بأنه «وثيق ودائم».

وتجري السلطات البرازيلية تحقيقات في ضلوع أعضاء من الحزب في تجارة مخدرات واردة من الولايات المتحدة في المنطقة.

موقع النشرة، ٢٠١٤/١١/٩

متى نبدأ بها؟

قالوا: لا ينبغي الركون إلى نظرية المؤامرة لتفسير قصور الأداء للأمة؛ إذ القرآن يؤكد خلاف ذلك: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ مخالفة الرماة. وينبغي دراسة غزوة أحد واستخلاص العبر منها. مخالفة الرماة لتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم والهزيمة التي عقبتها لم تكن مؤامرة.

من الطبيعي أن يتآمر عليك العدو، لكن هذا لا يفسر هذه القابلية المرضية للامتثال المتكرر لها عبر التاريخ. لنكن صرحاء: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾.

أعتقد أننا بحاجة ماسة لعملية (النقد الذاتي) لسد هذه الثغرات في جدار الأمة، وهي ثغرات مهلكة؛ لذا ينبهنا القرآن: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾.

د. عبدالله النفيسي –

مجلة المجتمع ٢٠١٤/١١/٨

الخبث الإيراني

قالوا: إيران كيّفت تحفظها على التحالف بما ينسجم مع مصالحها، وها هي اليوم تتحرك وفقاً للأجندة الميدانية للضربات، لكن أيضاً بما ينسجم مع قرارها حماية النظام في سورية. فلم يستعر خطاب تخويني ممانعاتي يدين الضربات ويؤسس لمزاج «مقاوم» يُثبّت التحالف بصفته عدواناً. تحفظت طهران على التحالف وأعطت النظام السوري هامشاً ليرحب به، وهذه لعبة تجيدها طهران منذ أيام «المقاومة» في العراق، لاسيما وأنه ترافق مع إفساح عملي في المجال لتواجد أمني واسع لها وغير مسبوق في العراق.

حازم الأمين،

الحياة ٢٠١٤/١١/٩

تقتل القتيل وتمشي في جنازته

قالوا: إيران تستغل الخطاب والنهج والممارسات الطائفية التي أشعلتها وغذتها انطلاقاً من العراق، ولاحقاً سوريا ولبنان، واليوم أضيفت اليمن! ثم تقدم إيران نفسها اليوم مع حلفائها كرأس حربة لمواجهة التطرف والجماعات السُنية الإرهابية! أخطر ما في التقارب الأميركي مع إيران حسب مسؤولين أميركيين هو طمأنة واشنطن لطهران عن طريق السيستاني والوسيط العراقي أن «العمليات العسكرية في سوريا والعراق لا تهدف لإضعاف إيران وحلفائها! لأن هدفنا داعش وليس احتلال العراق أو إضعاف إيران وحلفائها!»، وهذا ما يستفز ويزعج حلفاء واشنطن العرب في الخليج والشرق الأوسط ويفسره الشارع السُني بأنه مؤامرة أميركية- إيرانية ضد السُنة!

د. عبدالله الشايجي،

الخليج الجديد ٢٠١٤/١١/١١

العداء الصيني للإسلام

قالوا: فرضت السلطات الصينية على مدارس تركستان الشرقية المحتلة ذات الأغلبية المسلمة، قيودا بموجبها يتم منع ممارسة الشعائر الدينية في المنازل. وأن أعضاء الحزب الشيوعي الصيني والمدرسين والقاصرين دون سن الثامنة عشرة «يجب أن لا يمارسوا الدين، سواءً في المدرسة أو في منازلهم».

ويعيش في تركستان الشرقية أكثر من عشرة ملايين مسلم يشكلون أكبر جالية تنتمي إلى عرقية الأويغور الناطقين بالتركية، وقتل منها الآلاف في صراع مع السلطات الصينية من أجل الاستقلال والتخلص من الاحتلال الصيني.

مفكرة الإسلام ٢٠١٤/١٠/٣١



مكاشفات قاعديّة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

هذا حديثٌ مفتوح، سأتعرض فيه لبعض خطرات الذهن والفؤاد عن التيار السلفي الجهادي عامةً وعن تنظيم القاعدة العالمي خاصةً وحديثي هذا تلمسٌ للفريضة الغائبة «فريضة الاعتبار »، كما كان يقول العبقري أبو يزن الشامي تقبله الله.

فأحب لنفسي وإخواني أن نعتبر من المسيرة، وأن نتوقف في مستراحٍ للتأمل بعيدًا عن كل ضغط ومناكفات، مخلصين لله بإرادة الاستفادة مما حدث ويحدث، وتهيئة أنفسنا لما سيحدث

وأجد دافعًا ملحًا يدفع بي للكتابة دفعًا، وذلك قيامًا بحق الشهادة لله، وتحري العدل فيها، وتكفيرًا عن بلاءٍ أبليت فيه عصارة فكري وحشاشة فؤادي أدافع فيه بكل ما أوتيت من مقدرة على ما ارتأيته يوما من الأيام حقًا ليس بعده إلا الضلال، فأبدت لي الأيام ما كنت أجهل، وأتاني بالأخبار من لم أزوّد! وتوجب البيان بعد تغير المعطيات.

أمهد هذه المكاشفات بأن أذكر عن نفسي معلومات مجانية للمشغبين الذين سيشغبون كما هي عادة كل ضيق أفق وقليل فهم، أنا ممن نشؤوا على أدبيات التيار السلفي الجهادي في سن مبكرة، بل في سن الطفولة المبكرة، كان كل ما حولي منذ سن السادسة يهيئ للفكر الجهادي الحادّ، من مواد مرئية وسمعية، فكانت حاضنتي حاضنة جهادية صرفة وأدلجتي حدثت منذ عقلت الحروف، ولاحقًا حين تعلمت القراءة، كانت المواد المكتوبة متوفرة في تلك السن الطرية.

ثم كبرت وترعرعت في هذا الوسط، وشهدت خصوماتنا مع بقية التيارات، ثم اطلعت على بعض دقائق ما جرى من الخصومات بين الجهاديين وبين خصومهم مما أتاحت لي ظروفي الاطلاع عليه.

ثم دخلت ميادين الانترنت في ريعان الصبا، وكان لي فيها معارك طاحنة، رفعت فيها من شأن السلفية الجهادية إلى عنان السماء، وتعرضت لخصومها بالثلب والنقائص.

ثم في مستهل الشباب واصلت حرب القلم، وكنت ممن نافح عن تنظيم القاعدة في كل فروعه، وممن وقف يتلقى النبال ببيانه عن مسخ داعش حين كانوا يتسمون باسم الدولة الإسلامية في العراق، وقد ملكني الله زمام القلم فلم آل جهدًا بخوض الحروب الكلامية والخسف بكل من عادى مشروعا قاعديا أو مشروع الدولة الإسلامية، حتى كانت ثورة الشام فانكشف الغطاء، وظهر المستور، وأبى الله إلا أن يظهر الحق الذي طالما تترس به كل جاهل سفيه، وشوه وجهه الحسن كل دعيّ متسلق.

وقد طُبع في فؤادي حب الوضوح الفكري المنهجي، وبغض إغلاق الجراح على فساد، وإن كان يشق على أقوام رجوعهم عن خطأ كانوا عليه، فإن أشقّ شيء أجده في نفسي أن أسير في طريق تيقنت عواره، وتبينت أشواكه، أفأطأ الشوك بعد أن علمت مواقعه ضعفًا وانقيادًا لسلطة التيار، وجبنًا من تبعات المواجهة والمصارحة؟

ما هذا بالقول الرشيد، ولا تلك سجية الأحرار بل هي لسجايا العبيد أقرب رحماً!ويا أسفاه على من جيّروا قيمة الحق والحقيقة مطيةً لخصومات التيارات، فعزّت عليهم المكاشفة، وأخذتهم العزة بالإثم. ولسان حالهم: أيقال عنا كذا وكذا ونذعن للخصوم ببعض ما اتهمونا به، بعد أن كان وكان. وبعد مسيرة حافلة من المفاصلات والردود والمماحكات؟

فاضحك حينها أخي القارئ، على جيلٍ هذه صفات طلائعه، وهذا حظه من أمراض النفوس، ثم هو يرجو النصر والتمكين، ويرجو السيادة والصدارة، وهيهات هيهات أن يسلم الله ناصية الأمة إلى نفوسٍ اكتنزت بالعقد، وتعاظمت فيها الآفات، ومنّت بجهادها فاستكثرت وقفة تصحيح وتوبة واعتراف، ومن يمنن فإن الله غني عن العالمين.

وإني قبل أن أدلف لخطراتي أوضح أني لست من أهل الجحود، فقد تربيت على أدبيات تعلي شأن حاكمية الشريعة، والانتصار للمظلومين، وترفض الإذعان للمعتدين، وتشحذ النفوس للفداء والبذل والتضحية، وتوطنها على تقبل جحود الصديق، وتكالب العدو، وتجعل من تشرذم المسلمين همها العظيم وشاغلها الكبير، رافعةً راية الاصطفاف الإسلامي ضد كل طاغوت داخلي، ومعتدٍ خارجي، فأنى لي نكران هذا، أو الإزراء بقيمته؟، وكيف لمسلم أن يكون في خيرة من أمره إذا دعي لحاكمية الشريعة، ونبذ القوانين الوضعية، وإجابة داعي الله، ومواساة إخوانه في كل مكان بنفسه وماله وفكره؟

ولكن المحاسن لا تجيز استمراء المعايب، والموفق من ثبت على ما كان عليه من خير، ورجع عما بدا له من شرّ وفساد رأي، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، جعلنا الله ومن أمّن منهم.

سنوات التيه:

كنا أيام العراق لا نصدق في الدولة الإسلامية قولًا، كيف ومن يزكيها هم قادة الجهاد العالمي، ومرعبو الكفر وأهله؟ فكل عدو لها من أهل السنة هو لا شك صحوجي خبيث، والغ في نتن الردة، وكنا نهلل لله ونكبر كلما سمعنا عن ذبح أي معادٍ للدولة الإسلامية (الراشدة) في العراق!

صدرت حينها بيانات من فصائل سنية عراقية كثيرة توضح أن جماعاتهم تتبرأ ممن انخرط في الصحوات وأنها لا تجيز الجلوس مع الأمريكان لقتال أي فصيل مجاهد.لا أنسى حينها نظراتنا ونحن نتضاحك ونتغامز بالسخرية والاستهزاء فكنا نقول لن تنطلي علينا كذبات الصحوجية..!

كان بعض المشايخ يقول لنا إنه بلغه عن جماعتنا التي نناصرها كذا وكذا من الجرائم بحق أهل السنة، وإنه جلس مع بعض أفاضل الناس من أهل العراق فنبؤوه بما يشيب له الوليد من استحلالهم لدماء كل مخالف، فلم تنسني الأيام موقفا قلت له فيه: يكذبون عليهم يا شيخ، فانظر لبياناتهم في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، وانظر لاستنكارهم استحلال دماء المسلمين، وإنما أولئك المقتولين مرتدون لا شك!! فيتصاعد النقاش لينصرف كل منا بما يراه، وليقول بعض من شهد هذا الموقف بعد ذهاب الشيخ: هو سروري، فلم الاكتراث بما يقول! أليس السرورية داعمو جيش الصحوات الاستسلامي في العراق؟ فلا عجب أنه يرى حرمة دمائهم!!

وكانت لنا في مناصرة هؤلاء القوم أيام حمراء، مرت سنوات لا يهتز لنا فيها جفن كلما سمعنا نبأ تفجير من طرف الدولة في جموع الصحوات، وكنا نترقب مقاطع الاقتصاص من الخونة، وكانت مناظر الدماء الجارية تمر على أعيننا ولا يخيل إلينا واحدا بالمئة أن فيها قسطاً من الدماء المعصومة.

فالشيخ أسامة يقول أنها دولة الإسلام، والشيخ أيمن كذلك،وعطية الله وأبو يحيى، فهل يجتمع الأكابر على تزكية مشروع مشبوه مغشوش؟ حاشا لهم ذلك!وكيف يعقل أن يكذب علينا أهل الخنادق لنصدق المشايخ أهل الفنادق الحاسدين لدولة الإسلام؟ إن هذه لقسمة ضيزى!

إرهاصات الصدمة:

بعد استشهاد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، زعم الأمريكان أنهم عثروا على وثائق لمراسلات بين الشيخ وبين قادات التنظيم، فلم نلق لهذا الخبر بالا، ومنذ متى ونحن نتلقى معلوماتنا عن المجاهدين من طرف

الأمريكان؟ قال لي حينها بعض المشايخ أن أنظر لما ورد في المراسلات، وحدجني بنظرةٍ أن سنعلم جزءًا من الحقيقة المخفية التي كنا نجادله فيها! فثارت ثائرة الغضب في فؤادي، وتعجبت وحوقلت وأنكرت، وهتفت بانفعال:كيف لك يا شيخ أن تصدق كلام الأمريكان الكفرة في قادة الجهاد؟ أين الإنصاف والتثبت؟! فكان يقول لي إنها وافقت بعضا مما علمه من مصادره الخاصة، فغمغت بيني وبين نفسي بأن هؤلاء المشايخ يعانون عقدة تضخم الذات، ويعتقدون أنهم خبراء في كل مجال، وما عسى أن تكون مصادره إلا دراويش من دراويش الناس الحاقدين على أهل المنهج الصافي، هكذا بالحذافير كنت أفكر! لم ألق لتلك الوثائق بالا إطلاقا.

حتى كانت ثورة الشام، وكان الفخر يجللنا بإنجازات الفرع الجهادي الأبرز: «جبهة النصرة » وكنت أعلم كما يعلم بعض الجهاديين أن الجبهة تابعة لدولة العراق الإسلامية، ولكن ذلك لم يعلن رسميا حينها.

في تلك الفترة كنت ممن شهد مطلع العمل الإعلامي لكتائب أحرار الشام، وشهدت صفحتهم في فيس بوك التي حذفت عشرات المرات، ورأيت أوائل عملياتهم، فأعجبني انضباطهم وإثخانهم ومظهرهم الجهادي الواضح، ولكني كنت أتساءل عن هؤلاء من يكونون؟ بالدقة كان في خاطري سؤال ساذج «على المنهج هم أم خارجون من ربقته المقدسة؟»

فسألتهم مرةً في تعليق فيسبوكي عن موقفهم من القاعدة وكأني أريد اختبار إيمانهم بهذا!! فلم يجيبوني وأجابوا غيري ممن يعلق، رأيت بعدها في أحد منتدياتنا المنغلقة جنديا من أحرار الشام يعتب على تخلي المنابر الإعلامية الجهادية عن دعم الجماعات الخارجة من سلطان القاعدة والدولة، فوافق كلامه هوىً في نفسي ولكنه هوى خجول، مقيدٌ بعقد الحزبيات.

إنما أذكر هذه المواقف لأتذاكر كيف كنت أفكر، وأجزم أن كثيرا من الشباب الجهادي كان (وما زال) يفكر بنفس الآلية، مرت الشهور ورصيد الجبهة الشعبي يتزايد في قلوب عامة الشاميين سواء المؤدلجين منهم جهاديا أم حتى عوام الناس وكتائب الجيش الحر، حتى حدث الحدث الذي كان فتحا من الله من حيث حسبه الكثير شرا محضا.وكان فاتحة هداية لجموع الشباب المسكين المخدوع.

فسبحان من يكيد للحق ويديل له الدولة، وسبحان من لا تعزب عنه مثاقيل الذر، فكيف بدماء طاهرة سفكت ظلما، وكيف بتهجم ووحشية باسم شريعته السمحة مُرّرا زورًا، ما كان الله ليذر هذا الأمر المريج حتى يميز الخبيث من الطيب، تعالت حكمته وجل شأنه.

أُعلن قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام، ففرحنا وهللنا في الليلة الأولى لخطاب القائد المظفر أبي بكر البغدادي!وقد تربينا في هذا التيار على تسفيه مشورة بقية الجماعات وتسفيه مشورة وجهاء الناس وعلمائهم، فمن خلال تجربة العراق، كان يكفي أن يزعم أبو حمزة المهاجر رحمه الله أن سبع جماعات بايعت لتقوم دولة الإسلام!

فلا عبرة بخلاف أنصار الإسلام ولا جيش المجاهدين ولا الجيش الإسلامي ولا غيرهم من الجماعات الكثيرة التي لم تبايع ولم تستشر! ومن ناحية العلماء الذين خالفوا مشروع الدولة الإسلامية في العراق: لم نكن نلقي بالا للسواد الأعظم من العلماء الذين نلمزهم بالقعود ونلمزهم بالسرورية، فأنى لهم تأييد مشروع جهادي سيسلب بريقهم وينافس قلوب الشباب عليهم، فهم أهل حسد للتيار السلفي الجهادي!هكذا تربينا ورضعنا المنهج!

وأما الشيخ الذي كنا نحفل به ونعده من مشايخ الجهاديين لما خالفنا ونطق بما لا تهواه نفوسنا خسفنا به الأرض، ونسينا سابقته، وسفهناه وحقرناه واتهمناه، ألا وهو الشيخ الكويتي الفاضل حامد العلي فكان إعلانه لبيان يخالف فيه مشروع الدولة الإسلامية في العراق بوابةً لفتح نار الحرب ضده واشتعلت منتدياتنا إبان ذلك بخزايا القول والسفه والجور فكأننا نتكلم عن صبي أحمق طائش، وعن عالم سلطان مأجور، وزاد وتيرة هجومنا عليه بيانٌ صوتي لأبي حمزة المهاجر حمّل فيه حامد العلي مسؤولية الأعراض التي تنتهك بفتاواه ضد الدولة الراشدة، فلا تسل أي موجدةٍ قامت في قلوبنا على الشيخ

حينها!وللإنصاف أذكر أن الدكتور أيمن الظواهري رفض هذا الهجوم على الشيخ حامد وأثنى عليه خيرا وحفظ له سابقته، لكنني أشرح الوضع السائد عند شباب التيار آنذاك.

وخذ مثالا على موقف مضحكٍ مبكي، عندما أصدر الشيخ الفاضل حامد العلي فتواه ذهب جمع من الشباب للقائه، وكانوا خليطا بين عراقيين وكويتيين وغيرهم، وكان ذلك في درس الشيخ الأسبوعي، فانبرى شاب شامي من بينهم مبتدرا الشيخ فقال له: أليس ما ذكرته في فتواك يناقض قولك في نونية الجهاد؟ فقال له الشيخ: بالعكس!

فسكت الشامي وسكت الشيخ ليتدخل كويتي في المجلس ويقول:بما أن الموضوع فُتح فلنناقشك فيه يا شيخ!فانفعل الشيخ قليلا وكان يبدو عليه أنه سئم المناقشات الهزلية التي تكررت عليه فقال:لم أفتحه أنا، بل فتحه الأخ (وأشار للشامي)، وإن شئت إغلاقه أغلقناه، لكن الشيخ لسعة علمه وحسن تأدبه، قد قبل بمناقشتهم، فناقشهم قرابة نصف ساعة كلما أوردوا موردا دمغه بحجة حتى طرق الباب طارق فخرج الشيخ للقاء ضيفه، لينبري جمع من العراقيين والكويتيين لاستلام زمام النقاش، فتحدث حينها ثلة من العراقيين أن إعلان الدولة تم بدون مشورة الجماعات، وأوردوا كذا وكذا من سائر الاعتراضات المعروفة التي تقال الآن في الاعتراض على التمدد، ولكن لم يصدقهم أحد! فكيف يصدقهم أحد وهم ينطقون بخلاف كلام قادة القاعدة؟

علت أصوات الشباب بعد دخول الشيخ حتى كان نقاشهم صراخا فأسكتهم الشيخ، وانفض المجلس وكان من أمر الشيخ وما لاقاه بسبب فتواه أنه وصلته تهديدات بالقتل من بعض الغلاة، ولا عجب!

كيف لهم أن لا يهددوه وأبو حمزة المهاجر يقول إن الأعراض تنتهك بسبب فتواه الظالمة؟

فهذا المنهج باختصار أدى بنا لتسفيه كل مخالف من أطياف العمل الإسلامي أجمع، بل وللهجوم عليه بضراوة، وأدى بنا للاعتقاد أنه كان يكفي أن تبايع الجماعات المعمّدة بماء المنهج السلفي الجهادي المقدس لكي نقيم دولةً لنا، فالسلفيون الجهاديون وحدهم هم من يحق لهم تسلم قيادة الدولة وقطف ثمرة النصر لأنهم أعظم الناس تضحية! هكذا تعلمنا وإن لم يكن بلسان المقال نصًا وإفصاحًا إلا أننا تعلمناه بلسان الحال مفادًا ومؤدّى.

وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن بدعا من القول أن نتقبل التمدد فور إعلانه!! فمن بني بناؤه على أصل فاسد كان انحرافه في الفروع أشد كما يقول العلماء، وظننا أن الرياح ستسير بما تشتهيه السفن، وبتنا بأنعم ليلة فقد تمدد مشروعنا الجهادي واكتسحنا الساحة بهذا التوحد!

حتى أصبح الصباح، وكان خطاب الفاتح الجولاني في مخالفة قرار التمدد، شرارة الصدمة الأولى، والإبرة التي فتقت رُقَع المنهج الكثيرة! وأصبحنا في ليلة وضحاها حديث الناس، وبدا للجميع أن انقساما سيحدث في الصف السلفي الجهادي لأول مرة!

الاعتراف الأول:كان التخبط عندي واضحا بادئ الأمر، حتى أنعم الله علي بنصيحة مطولة من أخي وهو أحد « أبناء المنهج»، تكلم فيها بكلامٍ من أحسن الكلام، ليس هذا موضع سرده بتفصيله، حدث عندي بسبب كلامه المقنع توقفٌ في هذا الأمر وزادت حيرتي فيه!

كان مما قال لي: «أحرار الشام خمسة عشر ألفا، جيش الإسلام كذا وكذا ألفا كتائب كذا وكذا عددها بالآلاف، جبهة النصرة التي خالفت القرار تضم خلقا من الشباب، كل هؤلاء إسلاميون يريدون أن تكون كلمة الله هي العليا، مشروعهم عادل، وشوكتهم ظاهرة، وكلمتهم معتبرة، يلغون ويشطب عليهم لصالح البغدادي؟ بأي حق وبأي منطق؟».

ذكرني باصطفاف الأمة في معاركها التاريخية مع كل بر وفاجر، وذكرني باصطفاف السلفيين مع الأشاعرة والصوفية، وقال لي:نحن لا نريد حتى دولةً يتفرد فيها السلفيون بكافة أطيافهم، فما بالك بأن نظن إمكانية استفراد تيار صغير من تيارات السلفية بالأمر؟ فما بالك أن نظن إمكانية استفراد تنظيم صغير من تيار صغير من أطياف السلفية التي تمثل جزءًا من أجزاء الأمة بالأمر؟ الأمر أكبر منا جميعًا!الاصطفاف واجب الساحة، وتسفيه الناس حرامٌ وافتئات، واستفزاز الناس

بـالوثوب علـيهم دون مـشورتهم يـؤدي لكـذا وكـذا »، أطال لـي النصيحة والموعظة، فكـأن دلـو مـاء انـسكب علي بعد كلامه.

حتى كان منه بعد أخذٍ وردّ أن سألني عن رأيي في وثائق أبوت أباد، فشرعت في قراءتها أخيرا، وهالني ما قرأت، واطمأننت لمصارحته بما أعتقده في هذه الوثائق (فهو من أهل المنهج ولا حرج من الإفضاء باعترافات الخلل أمامه!!)، فقلت لـه إنني أعتقد استحالة تزوير حمير الأمريكان لهذه الوثائق، فما قرأته كلامٌ مكتوبٌ بأسلوبٍ رفيعٍ رصين، مترابط الوحدات، متماسك المتن، منطقي الدلالات، محتشد بالاستشهادات الشرعية وممتلئ بالفقه الواعي، ولا أظن أن عملاء السي آي إيه من العرب مجتمعين يقدرون على كتابة هذا ونسبته للمشايخ رحمهم الله!

فأراني حينها تزكيةً لهذه الوثائق من أبرز قيادات القاعدة الشرعيين في أفغانستان، تزكية أبي مريم الأزدي لها نقلا عن أبي يحيى وشهادتهما بصحتها نقلا عن كتاب ((الإعداد الشرعي والثقافي للمجاهد)) لأبي مريم، فأيقنت حينها بانكشاف الغطاء، وطفقت أتفكر في المسيرة كلها!

ظهور المستور:

كانت الوثائق تفيد أن وهم دولة العراق الإسلامية إنما نشأ بقرار فردي من أبي حمزة المهاجر عفا الله عنه! لم يستشر فيه قياداته ولم يستأمرهم، وكانت قيادة القاعدة في خراسان غير راضية عن هذا الأمر في بدايته!ولكنها جاملته بتزكيتها ومسايرته فيما ذهب إليه.

تحدث في الوثائق القائد عزام الأمريكي بغضب وشنع على مشروع الدولة ورأى أن القاعدة ابتلت نفسها بربط هؤلاء القوم بها وهم أهل تخبط وغلو، وأنه ينبغي على التنظيم تركهم.

ظهرت بعد ذلك رسالة القاضي العتيبي وشهادته على فظائع دولته التي انشق عنها، وقد نشرها باجتهادٍ منه شخص مجهول، نشرها باسم مستعار بعد أن وقعت في يديه، ولم أنس فجيعة الشباب الجهادي الذي كان يعلم بأمر هذه الوثيقة وأنها صحيحة في ليلة التسريب تلك، لقد دعونا جميعا على من فعل ذلك بعظائم الأمور، فكيف يتجرأ على كشف سوءات (المجاهدين)؟ وطفق بعضنا يسأل بعضًا، كيف وقعت في يد هذا الشبح؟ وكانت ليلةً عصيبةً علينا جميعا! بات جليا أن خفايا تيارنا وجماعاتنا تتناولها الأيدي وهي في طريقها للانكشاف الكامل أمام ناظر الناس صديقهم وعدوهم! فلم يعد مجديا الاعتراض على هذه التسريبات، بل المكاشفة والمواجهة والمدارسة لما حدث، هو السبيل الأمثل.

تحدث القاضي العتيبي عن الطريقة الدرامية المضحكة التي نشأت بها الدولة، فهي لم تنشأ حتى ببيعة السبع جماعات كما كنا نظن، بل كانت بيعات وهمية لجماعات ليست فاعلة على الأرض، وبعض الأسماء المذكورة بايعت بمقايضة تعطيها مناصب في الدولة مقابل البيعة، وكان أبو حمزة المهاجر قد قرر إعلان الدولة ولم يسم الأمير لها بعد، فالدولة تأتي أولا ثم نختار أميرها!

فانظر أي فوضى وأي غش وأي خديعة أحدثها هذا التخبط والجهل العريض، وقد شهد بهذا القاضي العتيبي فاستمر تنظيم القاعدة في تزكيته للدولة، وقد أنكر عزام الأمريكي على قادته ورغم ذلك استمر تنظيم القاعدة في تزكية الدولة، وقد راسل أنصار الإسلام حينها قيادة القاعدة وتظلموا من فظائع الدولة ضدهم وراسلت عدة جماعات عراقية القادة في أفغانستان، فاستمر تنظيم القاعدة (رغم كل هذا) في تزكية الدولة بذريعة أن ما يحدث في العراق غزو صليبي رافضي، ومن المخيف إعلان مفاصلة قد تشق الصف الجهادي في العراق وتذهب ريحه.

ظهرت حينها رسائل صوتية ومرئية لتنظيم القاعدة من الشيخ أسامة والشيخ عطية لدفع حرج تزكيتهم لهذه الجماعة التي يوجد عليها إشكالات منهجية، فتحدثا عن حرمة الدماء وخطر التعصب ليعالجوا إشكالية تزكيتهم للدولة بذكرهم انتقادات لهذه التصرفات، ولكنهم لم يسموا الجهات التي قامت بها، حتى يفهم

الناس أن القاعدة وإن زكت الغلاة فهي لحسن الحظ تنتقد تصرفاتهم!!.

تساؤلات وجيهة :هاهنا يتساءل كل ذكي الفؤاد ، متفتح الذهن، منعتق من الكهنوت والتقديس :

ألم يخدعنا تنظيم القاعدة؟!

ألم يغش تنظيم القاعدة أمته بتزكيته لمشروع مشبوه مغالٍ جاهل؟

ألم يداهن تنظيم القاعدة في حرمة الدماء المعصومة بنفخه وتزكيته للدولة التي أهدرت دماء بقية الجماعات العراقية واستباحتها ووصلت رسائل من هذه الجماعات ومن ضمنها أنصار الإسلام السلفية الجهادية إلى قيادة التنظيم، فتجاهلت القاعدة كل هذا لصالح الدولة الإسلامية التي ثبتت بيعتها للقاعدة سابقا؟

تقول لي إن تنظيم القاعدة يتأول عدم إعلانه لمفاصلة مع فرع الدولة التابع له في العراق، لكيلا يشق الصف الجهادي، فأقول لك إذن لا يفهم تنظيم القاعدة أن استباحة الدولة لدماء مخالفيها هو من صميم شق الصف الجهادي في العراق..؟ أليس تنظيم القاعدة بهذا الفهم، يعتبر أن ضمانة حفظ الصف الجهادي في العراق هو في بقاء هذه الجماعة المشبوهة المغالية في الصدارة، حتى ولو استباحت دماء مخالفيها؟

أليس الدكتور أيمن ترنم قائلا إلى عهد قريب، قبل المفاصلة مع داعش، في عهد البغدادي الثاني:

جنود أبي بكر تصدوا لردةٍ.. يسعرها الدولار يغري ويحشرُ

يزينها للزائغين عمائمٌ..أسانيدها إفكٌ وزيفٌ ومنكرُ؟

تقول لي إن القاعدة أصدرت بيان المفاصلة فيما بعد ووضحت أن داعش ليست تابعة لها ، أقول لك: ألم يدلس علينا تنظيم القاعدة حين أوحى ببيانه عدم تبعية داعش له في يوم من الأيام، وقد شهد الجولاني أن أميرهم وأمير داعش هو الدكتور أيمن، وقد ظهرت شهادات مسلسلة لمبرزين في جبهة النصرة تفيد بتبعية التنظيمين للدكتور أيمن، وظهرت شهادة صوتية لأبي بكر القحطاني شرعي داعش يعترف فيه بقبولهم لحكم الدكتور أيمن إذا صدر باعتباره أميرا لهم جميعا..؟

وإنما بيانهم الذي أعلنوه هو براءة من داعش بعد أن تواطأت الأمة على الإنكار على داعش وبعد عصيان داعش لقرار أميرها؟ أليسوا حين كانوا يفعلون ذات الجرائم في العراق لم يفاصلهم التنظيم، وحينما عصوا قرار التنظيم في التمدد قام بمفاصلتهم؟

لقد انفضت الحاضنة الشبابية الفتية عن جماعة الإخوان المسلمين لاشتهار مواقف الجماعة بالتذبذب والمراوغة، وعدم الوضوح والشفافية ، أحلال على تنظيم القاعدة أن يراوغنا ويغشنا ويخدعنا ، حرام على غيره؟

تقول لي إن دولة العراق الإسلامية تختلف عن التمدد الحاصل، فوجود تلك مشروع، ووجود التمدد باطل، أقول لك كيف صار الوجود الأولى مشروعا وقد ثبت تجاهلهم لشورى بقية الجماعات بشهادة قاضيهم العتيبي نفسه؟ كيف صار وجود الأولى مشروعا وحدوث التمدد خاطئا، وأمير جيش المجاهدين العراقي أبي عبدالله المنصور يقول للدكتور الظواهري:يا دكتور، إنك استدللت لصحة إعلان الدولة في العراق بسيطرتها على مساحات أوسع من مساحة المدينة في عهد النبي ﷺ، فإنها في الشام تسيطر على مساحات أوسع أيضا من مساحة دولة النبي ﷺ ، فلماذا تقر الأولى وترفض الثانية؟ أليس هذا تناقضا؟ قاله الشيخ بما معنى كلامه في كتابه الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم.

تقول لي، إن منهج الدولة الإسلامية في العراق ليس مغاليا والغا في الدماء مثل منهجها في الشام ولذلك زكتها القاعدة هناك ورفضتها هنا. فأقول لك هل تنكر أن أبرز الجرائم التي حدثت في الساحة الشامية من طرف داعش، حدثت بسبب القيادات العراقية؟ وهذا يعني أنها كانت تفعل ذات الجرائم بأهل العراق ولكن الحقبة العراقية تأخر عنها تويتر وفيس الذين امتلآ بالناشطين الإعلاميين الذين يوثقون كل فضيحة، فذُبح أهل العراق بصمت بسكاكين الغلاة، من ذات القيادات التي تذبح أهل الشام، وبلغت قيادة القاعدة هذه الفظائع بشهادة الجماعات التي راسلتها تشتكي حال فرعهم، فتم تجاهل كل هذا وتزكية الدولة؟

وكيف يكون فرعها في الشام مغاليا بينما يكون منبعها صحيحا سليما؟ هل يعقل أن يكون منهج القيادات العراقية هذه سليم في العراق لينقلبوا فجأة في الشام إلى

وحوش تقتل المسلمين وتكفرهم؟ تقول لي ثبت فساد فرع الشام بشهادات الكتائب الشامية المجاهدة الخيرة الطيبة، وبشهادة عوام المسلمين، بينما في العراق من كانت تحاربهم الدولة هم الصحوات حصرا، فشهادتهم مردودة.

أقول لك، فكيف تفعل بشهادات قادة الكتائب الجهادية العراقية بفساد فرع العراق، وتوالي مراسلاتهم التي ثبتت فيما بعد وظهرت لنا لقيادة القاعدة في أفغانستان بفساد هذا الفرع؟ أم أن غياب صوتهم وضعف الإعلام إبان ذلك يبيح تزكية أكابر المجرمين؟ وقد شهد بفساد الفرع العراقي وغلوه أنصار الإسلام في مراسلاتهم السرية وجيش المجاهدين وكتائب درع الإسلام التي انشقت عن الدولة ووو!

تقول لي إن الدولة الإسلامية في العراق أعلنت بشورى أكثر الجماعات في مجلس شورى المجاهدين، بينما التمدد لم يستشيروا فيه أحد، أقول لك، قد ثبت أن هذا باطل وكذب من أبي حمزة عفا الله عنه بشهادة القاضي العتيبي نفسه وإفادته أن تلك البيعات وهمية، ومن جماعات لا شوكة لها، تقول لي وما يدرينا أن شهادة العتيبي صحيحة؟ أفنعتمد عليها وحدها مقابل تنظيم كامل؟

فأقول لك بل لم يثبت هذا بشهادته وحده، بل كانت شهادته مؤازرة لشهادة عدة جماعات جهادية عراقية معروفة مثل أنصار الإسلام ومثل جماعة جيش المجاهدين التي شهدت بإعلان الدولة في العراق بذات الطريقة التي أعلنت في الشام، وبشهادة أحد أعضاء مجلس شورى المجاهدين بأن قرار الإعلان كان استفرادا من أبي حمزة دون أن يتابعه عليه كل أعضاء مجلس الشورى، وهو القائد عبدالله.

تقول لي لماذا كل هذا التحامل على القاعدة؟ أقول لك بل لماذا حرمة الدم المعصوم واهنة في قلبك، وجناب الشريعة التي شوهها الغلاة متهتك في نفسك لصالح التنظيمات؟

تقول لي أتنكر جهاد القاعدة وبلائها بعد كل هذا لنصورها عصابة مجرمة تزكي المجرمين؟ أقول لك حاشا لله ذلك، بل نتبع منهج أهل السنة والجماعة الوسط العدل، فهم يثبتون لكل طائفة ما فيها من صفات خير وشر، فقد تُذَم الطائفة من وجه وتُمدَح لوجه آخر.وجهاد القاعدة إن كان يُذكر فيشُكر، ولا يُكفَر، فإن مصائبها أيضا تُنكر!!فلا تعارض بين شكرنا لجهادها الصليبين في أفغانستان مثلا وجهادها للحوثة في اليمن وجهادها في كل مكان تتواجد فيه وبين ذكرنا لإشكالاتها المنهجية.

تقول لي ألا نتأول الأعذار لخيرة قيادات الجهاد فلعله لم يبلغهم الأمر على وجهه ولُبّس عليهم؟

أقول لك، أما أنا فإني والله أتأول لهم الأعذار، ولكن من يقنع الأمة وبقية الناس بأن يتأولوا لهم كما تأولنا؟

وإن الأمر لا يخلو من أن يكونوا علموا بالحال ثم غشوا فيه فيجب إنكار هذه الطامة، أو أنهم تأولوا لتزكياتهم مراعاة مصالح ومفاسد أخطؤوا قياسها فهاقد ثبت جناية فعلهم وتمدد خطر مجاملاتهم ليس على الجهاد العراقي فحسب بل على الجهاد الشامي أيضا، وحينها يجب أيضا إنكار هذه التأولات التي أفرزت هذه المآلات الفاسد، وإما أن يكونوا لُبّس عليهم، وإذا كانوا لُبّس عليهم فلا يُؤخذ من مثلهم تنظير وتزكيات لقصور آلتهم الإدراكية عن مواكبة ما يحدث في الساحات الجهادية الأخرى التي يبلغهم نبأها بالمراسلات ولا يعاينون فيها واقع الحال.

تقول لي ألا يُحتمل أن الفساد في العراق لم يكن بصورته الأخيرة لداعش فلم تزكي القاعدة جماعة إجرامية محضة في بادئ الأمر؟ أقول لك بلى، وهذا ظني بالقاعدة، ولكن المصيبة العظيمة أن تجعل مما تعلم طروء بعض الفساد والخلل عليه (باعتبارك لا تقر أن أساس الدولة فاسد، أما أنا فإني أعتقد قيامها على أصل فاسد فالفساد فيها متأصل وليس طارئا)، أقول إن المصيبة أن تجعل مما تعلم طروء بعض الفساد والخلل عليه صورةً لدولة الإسلام المشرقة وترفعه للسماء وتبتلي نفسك بتزكيته وتبنيه وقد كان لك مندوحة عن هذا كله بأن تقدر القدر المناسب، فلو كنت لا بد مزكيًا

فإن بعض الشر أهون من بعض، وبعض التزكيات أقل من بعض.

والحاصل أن القاعدة قدمت جماعة الدولة في الصدارة وقطعت على نفسها كل خط للرجعة عن تزكيتها فكان تراجعها في نازلة الشام غير متسقا مع سابق مواقفها، والبناية على أصل فاسد يجعل تبعات الفروع أعظم فسادا فكانت الدولة بعد التمدد أشنع إجراما من سابق عهدها وهذه سنة الله فيما بني على باطل، فماذا بقي من حجج ورقع واهية نستر بها سوءة ما حدث في حقبة العراق؟

تقول لي فما المطلوب من كل هذا؟ وما الهدف من ذكر هذه المكاشفات؟ إسقاط القاعدة؟ أقول لك أولا، هي شهادة واجبة، وتبيان الحق واجب.

ثانيا إن الدماء التي سفكت ليست (شراب فيمتو) حتى ننساها لصالح القاعدة وصالح صورتها المشرقة! فكن وقافا عند حدود الله واعلم أن فاطمة بنت محمد لو سرقت لقطع رسول الله ﷺ يدها!

وثالثا إن المطلوب هو ما اقترحه التنظيم نفسه في وثائق أبوت أباد من إعلان وقفة مراجعة وبيان واعتذار للأمة عما حصل في حقها من تجاوزات، كان هذا الاقتراح متداولا بين قادة القاعدة أنفسهم ويقرون بمبدئه ولكن للأسف لم نر شيئا حتى الآن.

أليس من حق الأمة بيان يوضح ملابسات الحوادث التي حدثت، ويعذر إلى الله بالبراءة من الكوارث المرتكبة، ويتعهد بعدم تكرارها في أي ساحة، ويشرع فعليا بإجراءات عملية لتصحيح المسار؟ كيف سنستعيد ثقة الأمة دون هذا؟ كيف نرجو القيام بحق الجهاد الحقّ دون هذا الوضوح ودون هذه الشفافية؟ من ينتصر للدماء التي سفحت بذرائع مجاملة الغلاة ونفخهم حتى تعملقوا سرطانا يبتلع العاملين في كل ساحة جهادية، ويكادون يقضون على معقل آمال الأمة بإفسادهم لثورة الشام؟ وهل المصائب التي أحدثوها في الشام إلا امتداد للخطل والإجرام الذي حصل في العراق؟

وهل تكرر ذات الجرائم إلا دليل قاطع موضح للخلل العميق والأمراض الجسيمة التي تكتنف التيار السلفي الجهادي الذي أثبت أنه أسد على الحكومات العميلة والكفرة، بينما هو نعامة مذعورة مستخذية لشياطين الغلو والجهل المجرمة؟

ليست قضيتنا تنظيم قاعدة أو إسقاط أو رفع شأن، إنما القضية أمانة لم نقم بحقها كما أوجب الله، وتجارب رويناها للأمة زورًا، وتدليسٌ رتقنا عليه جروحنا فلم نبالِ حتى تعفنت الجراح وأزكمت رائحتها الأنوف، فوجب علينا التوقف والمكاشفة والمصارحة والتوبة مما حصل ويحصل والتوقي مما نتوقع حصوله مستقبلا، من شاء بضرب كل هذا الكلام عرض الحائط فهو وشأنه وما يشتهي.

أما أنا فإني أحترم عقلي ولا أستطيع تحميله كل هذا التناقض، وإن حرمة الدماء المسلمة تعظم في نفسي على كل مجاهد وشيخ وعالم، ولو سفكها بيده صحابي شهد بدرا لبقيت حرمتها في قلبي كما هي، وإني لأجلّ نفسي عن الغضب للحزب والجماعة على حساب التجرد للحق والوقوف عند حدوده، فلتذهب التصنيفات للجحيم، كلنا آتي الله يوم القيامة فردا، والشهادة عظيمة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه.

وللمكاشفات بقية.. وللشجونِ استطالةٌ وتمادي، وما قلت من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وما قلت من صواب فمن الله وحده.، والحمدلله رب العالمين.

مقال وتغريدات من وحي «منهج رشيد»

مزمجر الشام– تويتر

تكررت ظاهرة تمكن الغلاة في الساحات الجهادية وضياع ثمرة الجهاد وهذا ليس «أخطاء فردية» كما يسميها البعض وليست سرقة لثمار الجهاد ولكن لأن التيار الجهادي في واقعه الحالي وما يعانيه من أخطاء وعيوب ومشاكل أدى إلى تكرار ذات النتائج المخيبة في كل ساحة جهادية.

ابدأ الحديث عن أخطاء التيار الجهادي وأنا ابن ذلك التيار قاتلت من أجله ونافحت، وما أقول ذلك إلا قطعاً للطريق على أصحاب المزاودات، أكتب ذلك بعد أن رأيت أن التيار الجهادي مازال يتعامى عن الأخطاء و

يـرفض الاعـتراف بهـا، فـضلاً عـن محاولـة تـداركها و اصلاحها!

إن «الـسلفية الجهاديـة» الـتي تـسودت سـاحات الجهاد لثلاثين عاماً قد خلت فشلت فشلاً ذريعا في حل مشاكل الأمة حالها كحال باقي التيارات، رغم أن الـسلفية الجهاديـة لم تبخـل في تقـديم التـضحيات والدماء في مناصرة قضايا الأمة، وضربت في ذلك أمثلة في البطولـة والـشجاعة، فـشلت الـسلفية الجهاديـة رغـم تقـديم التضحيات، لأنهـا لم تـستطع أن تلتحم مـع الأمـة وتتوحد معها وتقنعها بقضيتها ومشروعها وتجرها إليـه، فتحولـت الـسلفية الجهاديـة لمجـرد حركـات معزولـة عـن الأمة، وتنظيمات شاذة منبوذة من مجتمعاتها، ولعلنا هنا نذكـر أهم الأسباب في ذلك:

أولاً: فلسفة السلفية الجهادية: والتي تقوم على مبدأ «جهـاد النخـب»، وقدأثبت فشله في كل سـاحات الجهـاد ولازالـت الـسلفية الجهاديـة تتبنـاه، فجهـاد النخـب الـذي يحـصر المشروع الجهـادي في كـوادر معينـة ومـنهج ضيق وإطار فئوي لن يستطيع مواجهة التحديات الكـبيرة الـتي تواجه الأمة، ولا شـك أن نتيجة مواجهة «نخبة الأمـة» مـع أعداء الإسلام وأمم الكفر هي نتيجة خاسرة بالتأكيـد! والمطلـوب زج الأمـة كلـها في الـصراع، فلابـد لأي عمـل جهادي حتى ينتصر ويؤتي أكله أن تتبناه الأمة، وتـساهم فيـه، وهـذا مافـشلت في تحقيقـه الـسلفية الجهاديـة الـتي أبقته منعزلا.

ثانيـاً: الـكـبر والاسـتعلاء، وهـو داء استـشرى في السلفية الجهادية! فأصبح أبناء هـذا التيـار ينظرون لبـاقي أطيـاف الأمـة نظـرة فوقيـة، وذلـك لقنـاعتهم أنهـم هـم أصـحاب الـمنهج الحـق وأن الباطـل لا يـأتيهم وأنهـم علـى الصراط المستقيم والمحجة البيضاء وغيرهم إما ضال أو.. إلخ

ولعل من أوضح مظاهر الكبر والاستعلاء عند السلفية الجهادية - عدا العزلة التي تعيشها- هـو رفض فصائلها مؤخراً لـدعوات التحكيم المستقل، على مبدأ «أتسبقني وأنـا ابن الأكـرمين!» فكيـف تتحـاكم فصائل الـسلفية الجهادية مع فصائل اخوانية أو ضالة أو منحرفة! ولكم في داعش مثال.

وهنـا قـصة في ذلـك: ذات مـرة انـشأت أحـرار الـشام محكمة شرعية، وعينت فيها قضاة منها غير مـؤهلين، علماً أن البلد تحوي كـوادر كثر...وعندما سـألهم أحدهم لماذا لا تعينون فلان قـاض وهـو شـخص كفـؤ؟! قـالوا لـه: هـذا لـيس مـن المنهج! هـذا أشـعرى! ومـن مظـاهر الكـبر والاستعلاء عند «السلفية الجهادية» أيضاً هـو رفض كـل صوت إصلاحي أو ناقد وكـأنهم معصومون منزهـون عـن الخطأ!

ثالثـاً: التحـزب والـولاء للتنظيم، وهـذه مـن كـبرى آفـات الحركـات والتيـارات الإسـلامية عامـة، والـسلفية الجهادية خاصة، ونتائجها مدمرة، فترى أبنـاء هـذا التيـار يأخـذون أحاديـث «التعاضـد والرحمـة» فيجعلوهـا في جماعتهم فقط ولأبناء منهجهم، فيعقد الولاء والبراء على الجماعة، ولعل التحزب والعنصرية عند السلفية الجهادية كـان لـه أثـر بـارز في عزلـة هـذا التيـار وابتعـاده عـن الأمـة وعدم تعاونه مع باقي التيارات.

رابعـاً: حـصر الخـير في منهجهم، فيظنـون أنهـم هـم الطائفـة المنـصورة والرايـة الأنقـى، وأنهـم هـم الـوكلاء الحـصريين للجهـاد في الأمـة، ممـا جعلـهم يـزدرون بـاقي أطياف الأمة والتيارات الأخرى. ومخطئ مـن ظـن أن تيـاره وجماعته قادرة بمفردها على أن تقيم دولة الإسلام!

وهنا يجب أن تعلم أخي القارئ أن الثورة الـسورية قامـت وتحـررت عـدة منـاطق ولم تـدخل الـسلفية الجهادية بعد، وكـذلك في عدة ساحات أخرى، ويـكفي أن تعلـم - علـى سـبيل المثـال- أن أسـطورة الـصمود في سوريا وهـي مدينة داريا التي لاتزال محررة، لـيس فيهـا أي جماعة سلفية!

خامـــساً: الغلـــو والتنطـــع في الـــسلوكيات والـشكليات، فأصـبح اللبـاس الأفغـاني واجبـا! والمـدخن يطـرد مـن الجماعـة ويجلـد وكـأنـه كـبيرة !وأصـبح لـون الراية وشكلها دليلاً على صحة منهجك من عدمـه! - علماً أنـه لم يثبـت في السنة أن النبي أتخذ راية مكتـوب عليها الشهادتين - والتشدد مع المخالف سنة! حيث تـبرع السلفية الجهادية في مناطحة مخالفيها واسـقاطهم وانظر

كيف جعلوا الإخوان المسلمين شر من العلمانيين، بل إن بعض منظري السلفية الجهادية أجتهد فكفر حكومة حماس والقسام! وآخر يرى السرورية شر من اليهود! عدا التهم والتخوين والسباب!

سادساً: غياب المرجعيات وقلة العلماء، فقد اجتهدت السلفية الجهادية في إسقاط معظم علماء الأمة المعاصرين بحجة «لا يفتي قاعد لمجاهد»، فتصدر الإفتاء والتنظر ثلة من حدثاء الأسنان الجهلة، فهذا يفتي بقتل ذراري الشرطة، وهذا يفتي بتكفير كل من شارك في الانتخابات، وأصبحت السلفية الجهادية تتخبط لقلة العلماء الراسخين عندها، وتحول الشرعيون في الجماعات إلى مايشبه علماء السلاطين! مهمتهم التسويغ، فتحول الشرعيون في الجماعات اليوم إلى مايشبه علماء السلاطين! مهتمهم تسويغ أفعال الأمير وشرعنة جرائم وأخطاء الجماعة وتبريرها!وانظر كيف تسابق شرعيو داعش لحشد التسويغات لتمددهم للشام وإعلان الدولة وحقيقة الأمر أن البغدادي فعل ذلك خوفاً من انشقاق الجولاني.

سابعاً: الجهل المركب، وقد انتشر في أوساط السلفية الجهادية وكثر حتى طمى وتعاظم، ونكتفي بالدلالة عليه بثلاث مسائل:

١- اسقاط أحاديث آخر الزمان والطائفة المنصورة والفرقة الناجية على جماعتهم وواقعهم، حتى ظهرت انحرافات سلوكية وفقهية وحتى عقدية!فالقاعدة بالعراق قبل سنوات جهزت منبر المهدي المنتظر ظناً منهم أنه هذا زمان ظهوره! بل توقف الجهاد ببعض القواطع انتظارا له!

وهذه جماعة قرأت أن الإسلام سيعود غريباً فعزلت نفسها عن الأمة حتى يقال عنهم غرباء! وتنطبق عليهم نبوءة النبي رغم أن الغربة مذمومة، وهنا لابد من التذكير بقول الشاطبي أن الخوارج هم أكثر الفرق استشهادا بأحاديث الطائفة المنصورة والفرقة الناجية وآخر الزمان.

٢- مسألة الولاء والبراء: حيث يعتبر كثير من السلفية الجهادية أن الجهر بتكفير الحكومات والأنظمة واستعدائها هي من «ملة إبراهيم»، بل تعدى ذلك إلى لزوم تكفير كل من يجتمع مع الكفار أو يتعامل معهم! وإعلان عدواته لهم. وانظر كيف اشترطت داعش على الثوار الجهر بتكفير قطر وتركيا كشرط أولي لقبول التحاكم الشرعي مع باقي الجماعات!وهنا يصح سؤالهم: لماذا التركيز على تكفير قطر وتركيا بالذات؟! هل لأنهما أكثر دولتين وقفوا مع الشعب السوري في محنته؟!

٣- البيعات: فالجهل المركب عند السلفية الجهادية أخرج لنا نماذج «مضحكة» من البيعات، وهذا بسبب التوسع في مسألة البيعة والجهل فيها، وانظر كيف كان الجولاني مثلاً يبايع أمير المؤمنين البغدادي وأمير المؤمنين يبايع أمير تنظيم (الظواهري) والظواهري يبايع أمير مؤمنين، فانظر لهذا النموذج الفريد من البيعات التي تشبه معادلة تفاضلية من الدرجة الثالثة!! وسبب هذا الجهل والغلو بمسألة البيعة.

ثامناً وأخيراً: الكذب والتضليل، وللأسف فقد انتشر مؤخراً عند السلفية الجهادية، حتى ضجت فيه المنتديات وضاق به ذرعا قادة الجماعات، ولعل وثائق أبوت أباد ومافيها من اعترافات لقادة القاعدة أن بعض فروع القاعدة مارست الكذب والتضخيم في نقل الواقع والمعطيات للقيادة، ولعل الصورة المشوهة والمكذوبة التي كانت تنقل للشيخ بن لادن رحمه الله والظواهري الآن كانت سبباً في عدم صوابية قرار القاعدة الأم، وإلا فإني أعتقد أن الشيخ بن لادن يحمل من الوعي أكثر بكثير مما يحمله من يدعي انتسابه للقاعدة اليوم. وكذب الفروع ضلل الشيخ.

أما التضليل والتضخيم فهو يحصل عادة في تقديم واقع المجاهدين وانتصاراتهم وكم المبالغة فيها، وظروف الساحة! وهذا شواهده كثيرة، ولعل من أقبح ما طرئ في منهج السلفية الجهادية اليوم هو ما نراه من «كذب المصلحة» فقد استحل أقوام منهم الكذب بحجة أنه لمصلحة التنظيم، وقرأوا حديث الحرب خدعة ففهموا منه جواز خديعة الأمة بدلاً من خديعة الأعداء! وانظر كيف كذبت داعش على الأمة بمسألة اغتصاب المهاجرات.

أخيراً: لا أريد أن يفهم من كلامي الطعن بمنهج السلف، وانما مرادنا كشف عيوب وأخطاء من يدعي

انتسابه لمنهج السلف!

ماذا فعلت داعش؟

د.محمد السعيدي–٢٠١٤/١١/١٨

حين نشرتُ مقالة أنور مالك عن اختراق داعش تواردت الأسئلة: بعد كل ما فعلته داعش تقولون إنها مخترقة فأزمعت كتابة تغريدات عن (ماذا فعلت داعش؟).

إبان الاحتلال الأمريكي للعراق وبعده بقليل كان اسم داعش القاعدة في الرافدين ثم إمارة العراق الإسلامية ومما فعلته في العراق ما يلي:

بعث عداوة السنة في قلوب عوام الشيعة وهو هدف إيراني لتكوين الاصطفاف الشيعي وتقويته وإشعارهم بالخوف وإلجائهم لقبول الاستظلال بإيران.

نجحت إيران في تحقيق هدفها بطريق تفجيرات غير مبررة يقوم بها عناصر التنظيم في تجمعات الشيعة وربما قامت إيران ببعضها ونسبتها لهم وتبنوها.

نجحت المخابرات الإيرانية بإعلامها وصنيع القاعدة إيقاظ روح العداء الرافضي ضد السنة وتكونت كتائب الموت الرافضية والتي لا تزال تعمل حتى اليوم.

كتائب الصفوية كانت تقتل السنة وإمارة العراق كانت تقاتل المقاومة السنية أيضاً بحجة عمالتهم أو كفرهم والمقاومة السنية تنهزم أمام شراستهم.

استطاع الأعداء الثلاثة إمارة العراق والصفويون والجيش الأمريكي كل فيما يخصه إخماد جميع فصائل المقاومة السنية العراقية.

قليلاً ما يقع التحام قتالي بين عناصر الإمارة وكتائب الصفويين أو الأمريكان، ومعظم نشاط الإمارة تفجيرات ينفذها أبناؤنا لا تحسم المعركة.

بعد تصفية المقاومة وتسليم الأرض للصفويين ذابت إمارة العراق وسجن المخلصون من أتباعها وكانوا آلات تتحرك أما المحركون فلا يعرف من أمرهم شئ.

بعد نجاح الثورة السورية ظهرت داعش بمراحلها المعروفة وأعظم إنجازاتها تعطيل الثورة وإنقاذ النظام وإيجاد الشقاق بين الثوار والاعتداء عليهم.

من إنجازات داعش إيجاد الحجة للنظام العالمي للصمت عن جرائم الأسد أمام الرأي العام الغربي ثم تحويل الأولوية من إسقاط الأسد إلى إسقاط الثورة.

من إنجازات داعش تفريق اعتصام أهل الأنبار الذي دام عاماً وكاد يودي بالمالكي ودخلت داعش وفرقته ثم ذابت وبدأ المالكي يضرب السنة محتجا بداعش.

من إنجازات داعش إيقاف ثورة العشائر بإعلان الخلافة وتهديد كل من يخرج على الخليفة المزعوم فتوقفت العشائر خوف الاقتتال وتم إنقاذ الحكومة.

من إنجازات داعش إنقاذ النظام الصفوي العراقي من العشائر وترك بغداد والانصراف نحو الأكراد أعداء النظام الإيراني.

من إنجازات داعش المساهمة في تأمين وصول مقاتلي عصائب أهل الباطل والميليشيات الصفوية إلى أعماق سوريا لدعم النظام وحزب اللات.

من إنجازات داعش محاولة إحداث الفوضى في الشمال الكردي الذي يعد حتى وقت قريب ملاذاً آمناً للفارين من أهل السنة من نير الحكم الصفوي.

أحيانا تقاتل داعش الجيش العراقي ذي الغالبية الشيعية العربية لكون إيران لا تريد جيشاً عراقياً حتى ولو كان شيعياً وداعش أداة جيدة لإضعافه.

من إنجازات داعش إشغال العالم باليزيديين وكوباني عن مجازر الأسد وحصار الغوطة وتقدم حزب اللات، ضوضاء عند الأبواب ليقفز المجرم من النافذة.

يحرص الدواعش على أخذ الشريط الحدودي بين تركيا وسوريا من يد الثوار السوريين لا من يد النظام ليحولوا بين الثوار وأي دعم من جهة تركيا.

حماس المنتمين للفكر الداعشي لحادثة الأحساء يتفق مع رغبة تنظيمهم إحداث الفوضى في المملكة العربية السعودية وجعلها عراقاً ثانية.

من إنجازات داعش دعم المشروع الإيراني في إثارة رافضة السعودية لتحقيق الفوضى هنا، إيران وداعش يعملان الشئ نفسه وليست أول نقاط الالتقاء.

إعلان البغدادي في خطابه طموحه في التمدد نحو

السعودية مع أنه لم يتقدم لفك الحصار عن الغوطة منذ أكثر من سنة دليل على أولويات إيران لديه - الطريق نحو تحرير فلسطين يمر عبر الأردن وليس عبر السعودية، لماذا لم يعلن تمدده تجاهها؟ ذكرني بصدام حسين الذي غزا الكويت ليحرر فلسطين.

داعش التي تزعم نصرتها للسنة كم جزرت من عشيرة آل بو نمر السنية في العراق وكم قتلت من قبيلة الشعيطات في سوريا ويقولون لا نستهين بالدماء.

تصفح تاريخ المواجهات بين جيش الأسد والثوار السوريين تجد نصيب داعش مواجهتين فقط وفيها مقال، أما البقية فكلها انسحابات للنظام لتمكين داعش.

كم مرة قصفت طائرات النظام الأسدي مواقع داعش؟ الجواب ولا مرة، طبعاً هذا لا يثير استغراب المتعاطفين مع داعش.

وضعت داعش لنفسها قاعدة قتال المرتد أولى من قتال الكافر الأصلي لتبرر للمتعاطفين تركها الأسد وعصابته والتفافها للمسلمين، والحكم بالردة جاهز.

المطلوب من داعش أمريكياً وإيرانياً وصهيونياً هو المشاركة في خطتهم إحداث الفوضى في دول السنة ولذلك اقتصر تهديد البغدادي عليها.

حتى القوات المشتركة التي تزعم أنها تضرب داعش، لا تضربها حقا، وإنما تمنعها من الوصول إلى المناطق التي لا تريد منها أن تصل إليها فقط.

الحق الذي في كلمة البغدادي هو سلامة مقراتهم من ضربات الطيران الأمريكي وهذا لو تأمله المتأمل بعقل لعرف أنه من أوضح الأدلة على تآمرهم معها.

لو كانت أمريكا صادقة في قتال داعش لكانت المشاركة معها مثل المشاركة في قتال البعث وقتال بشار لكن أمريكا كاذبة في عداوتها لها.

كانت فكرة القاعدة هي القيام بأعمال من شأنها جر الصليبيين لجزيرة العرب وبلاد الإسلام ليتمكنوا بزعمهم من سحقهم، أي انهيار استراتيجي هذا.

حرصت داعش على الشئ نفسه وهو إعادة الصليبيين إلى العراق والشام، ثم يعلو صراخهم بالمناداة بقتال الصليبيين، ولا يستفيدون من التجارب الفاشلة.

فكرة جلب الصليبيين لمناطق الصراع للقضاء عليهم ثبت فشلها فها هي أفغانستان علمانية محطمة والصومال واليمن وتريد داعش للسعودية أن تكون كذلك.

حديث الرسول ﷺ بغزو الجزيرة ثم فارس ثم الروم تم كما وصف وبالترتيب الذي أخبر به فتنزيل الحديث على مؤامرة داعش لعب بالعقول.

غزا أبو بكر رضي الله عنه أنحاء الجزيرة وقمع الردة ووطد دولة الإسلام ثم اتجه للعراق وأتم الله على يد عمر فتح بلاد فارس ثم بلاد الروم.

استكمل فتح آسيا الصغرى في عهد السلاجقة الأتراك في القرن الرابع الهجري ثم فتحت القسطنطينية وشرق أوربا على يد العثمانيين.

أهل البدع أشد الناس حرصاً على تنزيل أحاديث الفتن على الواقع ليثبتوا شرعية وجودهم ولا نعلم فرقة فعلت ذلك إلا انتهى الأمر على خلاف قولها

يدعي أنصار داعش أن الإعلام العالمي عدو لهم ويشوه صورتهم والحقيقة عكس ذلك فالإعلام العالمي هو الذي ضخمهم وهو المستفيد من ذلك.

هذه مواقع التواصل الكبرى التي لا تبتعد عن المخابرات الأمريكية (قوقل وتوتر وفيس بوك ويوتيوب) لا تحاول حجب الإعلام الداعشي.

أيها الشباب المحب لدينه اتباع نبيكم في تجنب الفتن (فمن كانت له إبل فليذهب إلى إبله ومن كانت له غنم فليذهب إلى غنمه ...) الحديث.

وأخيراً فإن متابعة ردود أنصار داعش على من ينتقدها تنبيك عن معادنهم وأخلاقهم وعقولهم وستكشف لك فهمهم الضيق للإسلام، تابع معنا.

تفاعل الشارع الإيراني مع (وصال) و(صفا)

مصطفى حسين - موقع المثقف الجديد ١٤٣٦/١/١٥

لعب وهن الإعلام العربي دوراَ بارزاً في قوة التدخل الإيراني ونشاطه في الدول العربية، ولا يتعلق هذا فقط بالأفكار النمطية الضعيفة التي تتبناها وسائل الإعلام العربية، بل غالبا يرجع ذلك إلى أن هذا الإعلام يخضع لإكراهات ومصالح الاقتصاد الإعلامي ،ولعلاقاته

المعقدة بجهات سياسية واجتماعية.

وأظهر أن الإعلام العربي لم يبن حتى القليل من الاستراتيجيات تجاه هذا الإرهاب. ونادرا ما يهتم بالحديث عن العمل النضالي للشعوب غير الفارسية المعادية للنظام الفارسي ،كما تفعل إيران ضد البلدان العربية. بينما يملك العرب قنوات فضائية منوعة بلغت حتى عام ٢٠١٠ ما يزيد عن ٦٩٦ قناة، فضلا عن آلاف الصحف والمجلات اليومية والأسبوعية المتخصصة والشاملة، ومواقع الإنترنت الإخبارية والإعلامية وغيرها.

حقيقة قناة «وصال وصفا» ومكانتها في الإعلام العربي

واقع الامر أن هذه القنوات رفعت الستار عن استبداد النظام الفارسي وأسقطت ورقة التوت،وكشفت العورة الإيرانية ،وانكشف معها الخبث الفارسي في أوساط الشعوب غير الفارسية والجالية الشيعية في دول العربية. وتجلى ذلك بوضوح أكبر في الاقاليم غير الفارسية التي تفجرت فيها عوامل الحراك السياسي والاحتقان الاجتماعي منذ عقود، وربما تكون «الأحواز وبلوشستان» من أبرز تلك الأقاليم. فقد سمحت ظروف الهامش الإعلامي لهذه القنوات المتاحة لديها بتحفيز «الشعب العربي والبلوشي» للمساهمة في الإعلام والفضائيات. وأدى إلى التمرد على ثوابت الإعلام الرسمي الفارسي، وتحرير قطاعات واسعة من هذه الشعوب من سطوة النظام سياسياً وعقائدياً. ومن غير المبالغة في هذا السياق القول بأن التضافر والتلاقح الذي نشأ بين هذه القنوات، وبين تقنية الإعلام في شبكات التواصل الإجتماعي أدي الى عجز النظام الإعلامي الفارسي عن احتوائها. كما ساهمت هذه القنوات «وصال وصفا» في تأسيس أجيال واعية وبلورة توجهاتها السياسية والعقائدية والمجتمعية.

يمكننا عن حق أن نستنتج بأن الخطاب الإعلامي الراهن حول إيران في قناة «وصال وصفا» هو نابع عن حقيقة واضحة ويتلخص في معالجة موضوع «وحدة الخطر الفارسي العنصري» ضد الدول العربية، وخاصة المملكة العربية السعودية الركن الركين للعالم الإسلامي والعربي. ومن طبيعة هذه القنوات أن لها تأثيرا موجها نحو التواصل الاجتماعي بشأن القضايا الحساسة لدى الشعوب غير الفارسية في جغرافية إيران، وتملك تأثيرا إزاء ما يفكر به الناس حول مواضيع مثل «الهوية الوطنية للشعوب غير الفارسية والعقيدة الإسلامية».

واستطاعت هذه القنوات بتوفير عدة شروط أو محددات رئيسية أعطتها مكانتها في الشارع الإيراني، منها:

أ: القدرة على تمثيل الاتجاهات المختلفة داخل المجتمع الإيراني، حيث إنه توجد في جغرافية إيران عدة اتجاهات وشعوب ذات أهداف واحتياجات معىنة. واستطاعت هذه القنوات أن تمثل عدة جهات من الشعوب غير الفارسية في جغرافية إيران رغم تنوعه.

ب: حماية مجتمعات الشعوب غير الفارسية المضطهدة في جغرافية إيران، حيث قامت هذه القنوات بحماية هذه المجتمعات بالتغطية الإعلامية، حتى أصبحت مصالح هذه المجتمعات والشعوب في مواجهة مصالح الأنظمة الحاكمة المستبدة.

ج: توفير المعلومات للشعوب غير الفارسية: حيث إن توفير وسائل الإعلام للمعرفة السياسية والعقائدية والاجتماعية يتم لصالح الأفراد والمجتمعات في الوقت نفسه، لكي يستطيعوا أن يتخذوا القرارات الصحيحة.

ومن الضروري الإشارة إلى نقطتين لعبتا تأثيرا كبيرا في جذب المشاهدين للقنوات الفضائية مثل وصال وصفا، منها:

أ. أن القنوات الفضائية أصبحت ضرورة إعلامية للشعوب غير الفارسية. بينما لا تملك هذه الشعوب أي اعلام مهني يهتم بها.

ب. تفهم قادة النظام الفارسي، أن الإعلام ليس أمر محتكراً، ولا يمكن غش الشعوب واستعبادها لا سياسياً ولا اجتماعياً. وأن وسائل الاتصال الجماهيري لها تأثير على الشعوب في جغرافية إيران، فقد أصبحت ذات أهميه بالغة الأثر ،ليس على الصعيد الإعلامي السياسي فحسب، وإنما على أنماط الحياة العقائدي ايضاً، فهي

تعمل بطريقه أو بأخرى في التأثير على النظام الفارسي، وتترك أثرا كبيرا في تشكيل مفاهيم الناس وتصوراتهم عن كذب النظام بكل أشكاله وفي كافة شئون الحياة.

وأبرز مظاهر التغيير التي تمارسه هذه القنوات الفضائية على الشعوب في جغرافية إيران:

أ. لا توجد خطورة تبثه هذه القنوات الفضائية في البلدان أو الشعوب التي تستقبلها، ولا تحتكم على ذاك الزخم من المواد الإعلامية الذي يسبب فتنة اجتماعية وثقافية، بل ولا حتى سياسية أو أمنية.

ب. ترفض إقصاء الثقافات المحلية.

ج. القنوات الفضائية التي تدافع عن الشعوب المضطهدة في جغرافية إيران تعتبر خطوة ملحوظة لحفظ الثقافات الوطنية لهذه الشعوب في مواجهة الإعلام الفارسي الذي يسعى لتذويب، وطمس معالمها في ظل هذا الفيض الإعلامي الموجه لصالحه.

د. التأثير المباشر على التنشئة الاجتماعية، فالأمر الملحوظ أن تأثير القنوات الفضائية أمثال «وصال وصفا» قد بدأ بارزا، حيث دخلت القنوات الفضائية المجتمعات المضطهدة واقتحمت الإعلام الفارسي. ما اضطر النظام الفارسي إلى تصدير موجات للتشويش على الفضائيات، وأدى ذلك إلى جدل في إيران حول التأثيرات الصحية لموجات التشويش على الفضائيات ،حيث قالت معصومة ابتكار وزيرة الصحة: إن الإشعاعات الصادرة عنها تؤدي إلى خلل في جهاز المناعة (جريدة شرق الأوسط).

ونستطيع أن نجمل أهم ايجابيات هذه القنوات اجتماعيا وسياسيا في الشارع الإيراني على النحو التالي:

أ: لها دور في التثقيف والتوعية المجتمعية.

ب: رفع العزلة المفروضة على الشعوب غير الفارسية المضطهدة وتحطيم قيود تلك العزلة.

ج: التشهير بممارسة الحكومات الفارسية التي تمارس الظلم والفساد والقهر على هذه الشعوب.

د: جلب الاهتمام العالمي بالقضايا الانسانية والحقوقية والاضطهاد بحق الشعوب المضطهدة.

ه: تطوير وسائل الاتصال المحلية لمواجهة النظام الفارسي.

ز: التقليل من السيادة الإعلامية الكونية التي يسيطر عليه النظام في طهران وقم من خلال الإعلام التي تتحكم وتسيطر عليه، الأمر الذي يتضمن مزيدا من الدعوة إلى التحرر والانطلاق، لتزويد المجتمعات والشباب بالبرامج و المعلومات التي تساعدهم على معرفة حقيقة النظام. أما الآثار الإيجابية للبث المباشر لقنوات وصال وصفا على مجتمعات الشعوب المضطهدة في جغرافية إيران يمكن تحديد أهمها في المجالات التالية:

أ- الأخبار السياسة والاجتماعية، حيث أتاحت هذه القنوات المشاهد فرصة التعرف على الأنباء والأحداث الواقعة في محيطه، والتعايش مع الحدث والخبر مباشرة.

ب- التعرف على كنه التشيع الفارسي واستخدمه لأغراض وأهداف النظام.

ج - ساعدت هذه القنوات الفضائية على تلاقح النضوج الاجتماعي للشعوب المضطهدة، أو ما يمكن أن نسميه بالتفاعل الاجتماعي السياسي بين هذه الشعوب.

وأخيراً لابد من البحث في قضية إغلاق هذه القنوات هل يخدم الاستراتيجية الأمنية الإيرانية. وهل ستفوز إيران إعلاميا وسيختفي الإعلام المقاوم للمد الفارسي في الخليج! !

هل وجود الملاحظات على خطاب وأداء هذه القنوات لا يمكن التعامل معها الا بالإغلاق!؟

أسئلة لابد من التمعن في اجاباتها.

أحوازي شيعي «يتسنن» وطهران تصادر حريته

نايف العصيمي- الوطن السعودية ٢٠١٤/١١/١٤

التحول من مذهب إلى آخر، قد يكلف الكثير، في بلد مثل إيران.. تلك المعاناة لم يتمكن عبدالحميد سهيل الناصري التميمي أحد أبرز شيوخ السنة في الأحواز من تجاوزها، بعد أن قرر ترك المذهب الشيعي والتحول إلى السني.

الأنصاري، وفي حوار مع «الوطن»، كشف عن الكثير من العذابات التي عاشها بعد قصة التحول التي دفعت به لمواجهة تهمة كاذبة ألصقها به النظام الإيراني وأتبعها بمحاكمة جائرة، اختار عقبها الهروب إلى الملجأ للخلاص مما آلت إليه أوضاعه.

الأنصاري، والبالغ من العمر ٤٥ عاما، أكد على ضرورة دعم الدول العربية، الشعوب غير الفارسية الموجودة تحت طائلة الظلم الفارسي بأسرع وقت، مشيراً إلى أن ذلك من شأنه أن يقلب معادلة التمدد، لتصبح تقهقرا فارسياً بأيادٍ عربية، موضحاً أن نجاح العرب في هذه المهمة أرجح من النجاح الإيراني لبلوغ مبتغياتها للهيمنة على المنطقة.

أحوازي سني في الـ٤٥ من عمره، أحد أبرز شيوخ السنة في الأحواز عبد الحميد بن سهيل الناصري التميمي، يروي لنا تفاصيل معاناة أهل السنة والجماعة في إيران مع الاستبداد الطائفي الإيراني، محذرا من انجراف شيعة الخليج العربي خلف «الكذبات الفارسية» واللعب على مشاعر العرب من الطائفة الشيعية من باب الدفاع عن «المذهب».

ليس هذا وحسب بل إن الناصري، كشف عن تجربته عندما كان من أبناء الطائفة الشيعية في الأحواز، وما عاشه من تناقضات، جعلته يبحث عن خلفيات المذهب الشيعي، حتى استقر به القرار إلى أن يتخلى عن كل تلك المعتقدات، ليصبح من أهل السنة والجماعة، وذلك قبل ٢٧ سنة.

وفي عام ٢٠٠٦ وجد الشيخ عبد الحميد التميمي نفسه أمام تهمة كاذبة ومحاكمة جائرة بسبب تحوله مذهبياً من الطائفة الشيعية وانتمائه للسنة، فاختار الهروب إلى الملجأ للخلاص من التهمة والسجن الذي سيتحول إلى إعدام.

وأكد التميمي في حديثه لـ«الوطن»، على ضرورة دعم الدول العربية بكل ما أوتيت من قوة، الشعوب غير الفارسية الموجودة تحت طائلة الظلم الفارسي بأسرع وقت، مشيراً إلى أن ذلك من شأنه أن يقلب معادلة التمدد الفارسي، لتصبح تقهقرا فارسياً بأياد عربية، موضحاً أن نجاح العرب في هذه المهمة أرجح من النجاح الفارسي لبلوغ مبتغياتها للهيمنة على المنطقة.

الحوار الذي أجرته الصحيفة مع عبد الحميد التميمي الأحوازي يحمل الكثير من التفاصيل والحقائق، حول الوضع الذي يعيشه الأحواز في إقليمهم المحتل وإيران عموماً، وإلى التفاصيل:

محاكمة جائرة

من هو عبدالحميد الأحوازي وما قصته مع الحكومة الإيرانية؟

عبد الحميد بن سهيل الناصري التميمي الأحوازي، ولدت في الأحواز العربية وبالذات في قصبة جزيرة الصلبوخ التابعة لمنطقة المحمرة شط العرب، وذلك في اليوم الثامن من شهر رجب سنة ١٣٨٩ من الهجرة المصادف ٢١ أيلول سبتمبر ١٩٦٩ ميلادية، متزوج ولدي ٣ أولاد وبنتان.

كنت على دين ومعتقد الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وتحولت إلى عقيدة أهل السنة والجماعة. كان ذلك قبل ٢٧ سنة تقريباً، بعد مروري بفترة شكوك بعقيدة قومي وأجدادي حيث كانوا من الشيعة ووصلت لنا هذه العقيدة عن طريقهم أيضاً.

وأقول وبعد فترة من الشكوك والمطالعة والدراسة في العقيدتين الشيعية وعقيدة أهل السنة والجماعة، ثبت لي بطلان معتقد قومي وصحة عقيدة أهل السنة والجماعة، فلذا تحولت بفضل اللّه تعالى إلى معتقد أهل البيت عليهم السلام الحقيقي، ألا وهو عقيدة أهل السنة والجماعة. وبسبب تحولي تعرضت إلى مضايقات وأذى من الناس وفي فترة التجنيد العسكري الإجباري، وكذلك في فترة دراستي الجامعية وبعدها حيث منعت من العمل في جميع الدوائر الحكومية والشركات الخاصة والعامة وباقي مؤسسات الدولة الإيرانية وكنت أعمل وأمارس التجارة الحرة في السوق.

وبعدها أي في عام ٢٠٠٦ تم اعتقالي برفقة مجموعة من إخواني المهتدين، وبعد ٤ أشهر من مكوثي عند أمن

الدولة والحبس المنفرد تم الإفراج عني بكفالة؛ وبعدها بعام واحد اعتقلوني أي في صيف عام ٢٠٠٧ ومن ثم أفرجوا عني بكفالة أيضاً، على أن تتم محاكمتي بعدها. واستمرت محاكماتي حتى عام ٢٠٠٩ وفي الشهر السادس من تلك السنة حكموا علي بالحبس النافذ ١٠ سنوات، وبالنفي ١٠ أعوام أيضا خارج الأحواز، بعدما حاولوا عودتي إلى التشيع ولكن الله ثبتني على دينه.

وكان ذلك كله لأني تحولت إلى عقيدة أهل السنة، مع العلم أنني لم انتم إلى أي حزب ولا أي حركة سياسية ولا قومية ولا ثقافية ولا اجتماعية. الكل يعرف هذا عني، هذا وقد وجهت لي تهمة تهديد أمن البلاد والدعاية ضد النظام. وبعد هذا الحكم الجائر اضطررت إلى أن أهاجر بأهلي وأولادي وبرفقة إخواني الذين اعتقلوا معي أيضاً وحكم عليهم بالسجن لمدة ٥ سنوات لكل واحد منهم.

الهرب من الفتنة

ولماذا اخترت الهجرة؟

خوفا من الفتنة في الدين. حيث إن السجون الإيرانية يمارس فيها ضغوط شتى في هذا الباب، وقد تجبر على ترك دينك خوفاً وتعود إلى التشيع، وهاجرنا إلى تركيا وسجلنا عند مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، وبعد مدة طويلة حوالي ٤ سنوات ونصف تم ترحيلي إلى جمهورية فنلندا، وأنا الآن موجود فيها وقد تم ترحيل إخواني الآخرين إلى بلدان أخرى.

كيف ذهبتم إلى تركيا؟

خروجي إلى تركيا كان عن طريق الجبال، حيث سحبت الدولة الإيرانية جواز سفري، وأصدر النائب العام في البلاد حكم بمنع سفري وقد تم سحب جوازي في مطار شيراز، لذا اضطررت أن أخرج مشياً على الأقدام، على يد بعض الإخوة الأكراد من حدود أرومية أذربيجان الغربية، برفقة اثنين من إخوتي، حوكما معي .

وبعد ١٦ يوما، وصلت إلى مدينة أغري التركية، التي تبعد عن الحدود الإيرانية ١٢٠ كلم. لكن بسب وجود الحواجز الأمنية كان ذلك يستوجب أن يتغير المسير والطريق. مدينة أغري من أبرد المناطق في العالم وتقع بالقرب من قمة أرارات التركية وتصل فيها درجة البرودة إلى ٤٥ تحت الصفر. كنا نستعمل الفحم الحجري للتدفئة في البيوت وكان أهل أغري من إخواننا الأكراد، يعرفوننا ويعرفون سبب هجرتنا، ولكن للأسف كانوا قد خدعتهم الدعاية الإيرانية ومحاربة الاستكبار العالمي وأميركا وغيرها من الشعارات التي تطلقها الدعاية الإيرانية، التي باتت مضحكة للناس أجمعين.

كانت هجرتي خشية من الفتنة في الدين وصدور حكم الحبس بحقي وقد ذكرته آنفا واحتمال تغيير هذا الحكم من ١٠ سنوات إلى شيء آخر، فإن الأحكام تتغير عادة خاصة بحق أهل السنة والجماعة، وقد حدث ذلك للأخ الناشط الكردي فتاحيان حيث حكموا عليه أولاً ١٠ سنوات، وبعدها تغير حكمه إلى الإعدام، وتم إعدامه في شتاء ٢٠١٠. نصحني بعض الإخوة وخاصة المحامين بترك البلاد، والهجرة وأن لا أبقى أنتظر، فلذا دفعت مبالغ الكفالة للكفيل وخرجت مهاجرا مع أهلي وأولادي وأنا مكره على ترك بلدي وبيتي وأبي وأمي وإخوتي، ولم أخرج طالبا للدنيا ولا لشيء لأنني كنت أمارس التجارة ولست محتاجا لشيء من هذا والحمد لله.

لشيعة الخليج: احذروا

ماذا تقول لأبناء الطائفة الشيعية في الخليج العربي وهل من مقارنة بينهم وبين شيعة الأحواز المحتلة من حيث الحياة الاجتماعية والاقتصادية؟

أقول لا توجد مقارنة بين الشيعة في الخليج وشيعة الأحواز أصلا، حيث إن شيعة الأحواز تمارس عليهم العنصرية الفارسية، وهم محرومون من أبسط حقوقهم المعيشية والإنسانية، لا يسمح لهم بالدراسة بلغتهم ولا يسمح لهم بإظهار حتى لبسهم العربي ولم يسمح لهم بالوظائف والمناصب العليا في بلدهم، إلا من يترك العربية وأصوله ويصبح فارسيا كلياً ويغير حتى اسم أسرته من العربية إلى الفارسية ويصبح عميلا يبيع أهله وقومه، ولا يسمح لهم حتى بأن يسموا مواليدهم بالأسماء التي يريدونها، كالأسماء العربية وهذا أبسط الحقوق، ولا يوجد لهم وقف خاص بهم ولا جمعية خيرية ولا محكمة ولا أحوال شخصية، في حين من أرضهم يستخرج ٩٠٪ من البترول الإيراني الذي هو عمود الاقتصاد الفقري،

وكذلك الغاز أيضاً معظمه من أرضهم وبلادهم، ولم يكن نصيبهم منه سوى الدخان والتلوث البيئي. هم محرومون حتى من شرب الماء الصافي حيث تم سرقة ماء معظم الأنهار التي تجري في الأحواز مثل نهر الكارون والكرخة وغيرها وتحويل معظم روافدها إلى أصفهان ورفسنجان وباقي المناطق الإيرانية، والذي لا يصدق كلامي من شيعة الخليج فليتفضل يزور الأحواز ويرى بعينه ما نقول وليكن هو الشاهد والحكم.

أنا زرت في السعودية محافظة الأحساء والقطيف وبعض قراها، ورأيت بعيني أن تلك المدن والقرى في عمرانها وبيوتها وطرقها ومراكزها الصحية العالية التي تشبه مدن وقرى الدول المتقدمة في كل جوانب الحياة. وأخص بالقول شيعة السعودية، وأحثهم على أن يحمدوا الله لما هم عليه من نعمة ورخاء وحرية عقيدة ودين ولم يكرهوا على ترك عقيدتهم، وأقول لهم «لديكم المساجد والحسينيات والجمعيات والنوادي والتجارة ومعظم الأسواق في المنطقة الشرقية، ولديكم شركات ومؤسسات ومحكمة خاصة بكم، وتدرسون بلغتكم وأنتم تعتبرون مواطنين سعوديين كسائر المواطنين في الرياض والقصيم ومكة والمدنية وعسير وجازان وغيرها، تعملون في معظم الشركات وخاصة شركات النفط وغيرها من الشركات، يا شيعة السعودية أنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم وأعراضكم وهذه نعمة لا يقدرها إلا من فقدها، فاحذروا دعاة الفتنة».

سقوط المشروع

كيف ترى أو تتوقع مستقبل إيران على الخريطة السياسية، مع كثرة الصراعات التي تسببت طهران بافتعالها؟

إيران بعد ما يسمى بالثورة، قامت بمحاولتين للسيطرة على المنطقة، أولى في بداية الثمانينات وهي حرب الـ٨ سنوات مع العراق، حيث كانت طرفا مباشراً فيها .

وفي بدايتها رفضت إيران جميع الوساطات الدولية والإسلامية والإقليمية، وكانت تطمع في احتلال العراق عسكريا وقد حشدت لهذا الجموع، وأعدت له عدتها.

لكن صلابة الجيش العراقي وقوة قيادته ودعم الدول العربية ووجود موقف عربي حازم وموحد، جعل الدائرة عليها وهزمت شر هزيمة وتجرع الخميني في إثرها كأس المرارة باعترافه بذلك، بعد قبول قرار مجلس الأمن ٥٩٨ مرغما ومن دون قيد أو شرط، وهذا يعرفه كل من عاصر تلك الأحداث.

وسبب تمدد إيران في المنطقة من جديد، هو الخلل الذي حصل في المنطقة، وذهاب توازن القوى فيها، والذي كان العراق أحد أطرافه. السبب في ذلك كله خطأ صدام حسين في غزوه دولة الكويت في أغسطس ١٩٩٠، الذي كان سببا رئيساً في حصار العراق ومن ثمّ احتلاله. هذا الخلل وبعده غياب موقف عربي حازم وموحد من قبل الدول العربية، ومغازلات أميركا والغرب عموماً لإيران واتفاقها السري معها من تحت الطاولة، يمثل إطلاق يد إيران، وتركها تلعب وتعبث في المنطقة العربية، ما جعل إيران تتمادى في غيها. لكن الثورة السورية كشفت خبث إيران وازدواجية المعايير لدى نظامها، وكشفت حقدها ومكرها، ويعلم الجميع أن إيران منهكة اقتصادياً ولو تم دعم الثورة السورية وانتصر ثوار سورية وسقط عميل إيران، ستكون بداية سقوط المشروع التوسعي الإيراني في المنطقة.

في السابق كانت شعوب المنطقة تعيش حالة عداء موحد مع إسرائيل، الآن دخلت إيران على الخط، أليس كذلك؟

إيران أصبحت منبوذة في المنطقة مثل الكيان الصهيوني. هذا مؤشر على سقوطها. إيران جلبت لنفسها عداوة أمة الإسلام كلها، بعد ما كانت ترفع شعارات معاداة الاستكبار العالمي وغيرها من الأكاذيب. المشكلة الآن أن إيران لم تدخل بالكامل في المواجهة إلا نادرا، والذي ينفذ مخططات إيران هم بعض الشيعة العرب الموجودين في بلاد المسلمين، ممن تعمل على استغلالهم تحت شعارات الطائفية البغيضة، لتجعلهم مطية لتنفيذ مآربها، ولذلك أصبحت تسوقهم إلى المهالك في سورية والعراق واليمن، وهي لا تتحرك ولا يصيبها ضرر إلا قليل، ولولا هؤلاء المدفوعون بالحقد الطائفي لما

استطاعت إيران أن تتمدد بهذا الشكل الذي نراه.

أنا أقول إن إيران قد اجتازت الخطوط الحمراء، ولهذا يجب لجمها، واتخاذ موقف عربي حازم، والضغط عليها. ومن أهم هذه الضغوطات دعم القوميات الموجودة ضمن الخارطة الإيرانية التي تعاني التهميش والاضطهاد.

أتوقع انهيار إيران وسقوط مشروعها الثاني كما سقط الأول في حرب الثمانية سنوات وستكون بداية انهيارها في سورية بعون الله.

القمع مذهبيا

حدثنا عن اعتقالات الشيوخ من أهل السنة والجماعة في إيران؟

بخصوص ما يجري على أهل السنة والجماعة في إيران عموماً، نقول إن البطش والتنكيل اللذين تمارسهما الحكومة الصفوية العنصرية لم يرى أهل السنة والجماعة مثله منذ مجازر إسماعيل الصفوي في القرن العاشر الهجري. وما قام به ذلك المجرم بحقهم في ذلك الزمان. وهذه الحكومة الطائفية اليوم ومنذ وصول الخميني إلى إيران قامت بأبشع الجرائم بحق أهل السنة والجماعة، ومارست عليهم شتى صنوف الاضطهاد والبطش والتنكيل. هدمت المساجد وخربت المدارس وقتلت الكثيرين من العلماء وطلاب العلوم الدينية، وهجرت وسجنت وعذبت الآلاف منهم منذ عام ١٩٧٩ وإلى يومنا هذا .

وصل الحال بأهل السنة أن تمنى العديد منهم أن يحكمهم اليهود والنصارى وغيرهم، خير من هؤلاء الطائفيين، فالذي يتعرض له أهل السنة والجماعة في إيران من ظلم وعدوان، أبشع مما فعلته الشيوعية في حكمها للاتحاد السوفيتي سابقاً، وكوريا الشمالية، ولا حتى ميانمار ولا غيرها، أولئك كانوا يصفون خصومهم السياسيين ومعارضيهم فقط، ولكن هؤلاء في إيران اليوم يمارسون الاضطهاد والتهميش والقتل لكل شيء وعندهم طرق في القتل والإرهاب لا يعرفها أحد غيرهم. قتلوا العديد من علماء السنة والجماعة، بدءًا بأحمد مفتي زاده الكردي، وبهمن شكوري، والعلامة محمد ربيعي الكردي إمام السنة في جوانرود كردستان، مروراً بالشيخ محمد صالح ضيائي الذي عذبوه وبعدها قتلوه ورموا جسده في عقبة من الجبل ورموا سيارته في الوادي بالقرب منه، ليوهموا الناس بأنه مات بحادث، لكن الله فضحهم وخرج ضابط من جهازهم الأمني واعترف بالجريمة، وكيف قتلوا ضيائي رحمه الله.

هكذا فعلوا مع الدكتور أحمد صياد ميرين البلوشي عند ما خطفوه ورموا جسده في قارعة الطريق في مدينة ميناب شرق بندر عباس، وكذلك إبراهيم دامني وعلي مظفريان. هناك العشرات بل المئات من العلماء وطلاب العلوم الدينية من الذين قتلوهم ومثلوا بهم.

صناعة التحول اليمني من الزيدية للجعفرية

د. محمد بن صقر السلمي- مكة أون لاين ٢٠١٤/١١

الحالة اليمنية ليست أفضل من نظيرتها السودانية لناحية التدخل الإيراني، إذ إن هذا التوغل الإيراني في الداخل اليمني أكبر وأشد خطرا منه على الساحة السودانية، ولا سيما في وجود جماعة مسلحة وقيادة مؤدلجة ومبرمجة من قبل إيران.

وأعني هنا الحركة الحوثية، أو ما يعرف بـ«أنصار الله»، فبعد الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩م، حظيت اليمن باهتمام إيراني كبير في الجانب الجغرافي والثقافي والديني بسبب وجود المذهب الزيدي الشيعي الذي يشكل أتباعه قرابة ثلث الشعب اليمني البالغ قرابة ٢٦ مليونا، وبناء على ذلك يمكن عرض هذه القضية في قالب جغرافي ديني.

تقاتل إيران في المنطقة مدفوعة بهوس الزعامة الإسلامية وتصدير الثورة ومشروع سياسي توسعي تجاه المنطقة العربي، ويظهر هذا المشروع السياسي التوسعي بوجوه مختلفة حسب الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في هذه الدولة أو تلك.

وترى إيران في الحركة الحوثية الشريك الجيد بالنسبة لها، ويمكن أن تلعب دورا فعالا في تحقيق طموحاتها السياسية والمذهبية في جنوب الجزيرة العربية،

إلى جانب أذرعها في لبنان والعراق وسوريا.

دائما ما تحث إيران الحركة الحوثية بشكل مباشر أو غير مباشر، على التمرد والعصيان وإطلاق صيحات الحرب مع العزف على وتر المظلومية والحرمان والظهور بمظهر الجانب المضطهد والمغلوب على أمره.

ويتناسى الجانب الإيراني أن أدبيات المذهب الجعفري الاثني عشري، مليئة بالاتهامات لأتباع المذهب الزيدي، وأنهم ينكرون على من يلحق الزيدية بالإمامية، لأن الإمام زيد بن زين العابدين ليس ضمن أئمتهم الاثني عشر.

من جانب آخر، يشنّع علماء الزيدية على المذهب الجعفري الاثني عشري ويعتبرونه منحرفا عن الطريق الحق، ومن هنا يبرز أن اهتمام إيران بالحركة الحوثية والمجتمع الزيدي في اليمن، نابع من أهداف سياسية بحتة، وليس أخوة دينية مذهبية كما تحاول طهران تصويرها.

مع هذا كله، يروج الإعلام الإيراني لتحركات الحركة الحوثية في اليمن ودعمها من خلال تقارير ومتابعة دقيقة لما يجري على الساحة اليمنية، وقد تجاوز الأمر ذلك إلى الحديث صراحة عن ارتباط الحركات الحوثية بطهران، وأن أي نجاح لها يعد نجاحا لإيران وتحقيقا لأهدافها ومشاريعها السياسية في المنطقة.

وعلى الجانب الآخر، تحاول إيران «شيطنة» دور مجلس التعاون لدول الخليج العربية وتحذيراتها من تطور الأوضاع في اليمن نحو حرب أهلية، والحديث عن أن دول الخليج العربي لا تريد الخير لليمن وأهلها.

تفكك اليمن يعد انهيار مشروع الوحدة اليمنية والذي بدأ في منتصف عام ١٩٩٠، وبالتالي العودة إلى تقسيم اليمن إلى شمالي وجنوبي خيارا جيدا لإيران، حيث ستسعى طهران بكل قوتها إلى توطيد علاقتها من اليمن الجنوبي، نظرا للأهمية الجيو- استراتيجية التي تحظى بها وإطلالتها، كما تقدم، على بحر العرب وقربها من مضيق هرمز ومضيق باب المندب، وبالتالي يصبح مضيق باب المندب ومضيق هرمز بين كماشتي إيران.

أما بالنسبة لليمن الشمالي، فسوف تستمر إيران في دعم الحركة الحوثية عسكريا (بعد وجود منفذ بحري تحت سيطرة الحركة) ولوجستيا واستخباراتيا، عليه، فإن إيران تحاول جاهدة أن تكون جاهزة لكل الخيارات المتوقعة، ولعل الدور الآن على دول المنطقة لقطع الطريق على إيران والتحرك في الاتجاه ذاته وفي الوقت المناسب.

تلميع الحوثيين يحاول الإعلام الإيراني تلميع صورة الحركة الحوثية وتقديمها أمام القارئ الإيراني بصورة القيادة الحكيمة والمعتدلة البعيدة كل البعد عن الصراعات المذهبية والإيديولوجيات الإقصائية.

فعندما قامت الحركة الحوثية باقتحام العاصمة صنعاء تحدث الإعلام الإيراني عن إقامة صلاة الجمعة للشيعة خلف إمام واحد في منطقة سنية جنوب العاصمة صنعاء وحضرها عشرات الآلاف، كما تمت إقامة صلاة الجمعة لأتباع المذهب السني في المنطقة ذاتها.

وهذا دليل قوي على أن «أنصار الله» لديهم القدرة الكاملة على قيادة جميع الشعب اليمني وتمثيله.

علاوة على ذلك، تروج إيران لشائعة تم تداولها في الإعلام الإيراني تتحدث عن أن الحراك الحوثي لم يلجأ إلى استخدام الأسلحة أو رفعها أو حملها أيضا خلال المسيرات المناهضة للحكومة وإن ذلك يثبت حسن نية الشيعة في اليمن، على حد زعمها.

وتقارن إيران بين حركة الحوثيين في اليمن وحزب الله في لبنان، وترى أن هاتين المجموعتين جزء من حلفاء إيران، فحزب الله أدى إلى وجود إيران على الحدود الشمالية لإسرائيل، بالتالي أصبحت جارا شماليا للنظام المحتل، ووفقا لهذه القاعدة يمكن الزعم أن إيران قد تصبح قريبا الجار الجنوبي للمملكة العربية السعودية، في حالة تحقق ذلك، فإن إيران ستضع السعودية تحت ضغط مباشر فيما يتعلق بالمعادلات السياسية في المنطقة أكثر من أي وقت مضى.

هذا الأمر تحدث عنه علي أكبر ولايتي وزير الخارجية السابق، رئيس مركز الدراسات

الاستراتيجية التابع لمجلس تشخيص مصلحة النظام والمستشار السياسي للمرشد الأعلى علي خامنئي عندما قال إن هناك تحولا فريدا من نوعه في تاريخ اليمن، معتبرا «الانتصارات الملاحقة للجماعة تدل على أنها جاءت بشكل مدروس ومخطط»، كما أعرب ولايتي في تصريحات نقلتها وكالة «إيرنا» الإيرانية الرسمية عن أمله بأن تقوم الجماعة الحوثية في اليمن بنفس الدور الذي يقوم به حزب الله في لبنان، وأوضح أن حزب الله يحارب إلى جانب جيش بلاده ضد أولئك الذين يستهدفون لبنان. وأضاف أن إيران تعتبر جماعة أنصار الله في اليمن «جزءا من الحركات الناجحة للصحوة الإسلامية».

المستوى الفكري تعرض الحوثيون لعملية «أدلجة» تدريجية نتيجة التأثر بالنموذج الإيراني واستراتيجيات تصدير الثورة الإسلامية. لقد نجحت إيران خلال العقدين الماضيين في خلق وجود قوي لها في الداخل اليمني بدءا من استقطاب بعض الطلبة اليمنيين من أتباع المذهب الزيدي وتقديم المنح الدراسية في الجامعات الإيرانية، حيث يتم التأثير عليهم وأدلجتهم تبعا للتوجهات السياسية الإيرانية والمذهب الشيعي الاثني عشري المعتمد في إيران.

كما نجحت إيران في استقطاب أسماء كبيرة وقيادات مؤثرة داخل المجتمع الزيدي في اليمن مثل بدر الدين الحوثي وأبنائه، وبالتالي تم التحول الأيديولوجي لهذه القيادات من المذهب الزيدي إلى الاثني عشري ومن ثم الترويج لذلك في الأوساط الزيدية إضافة إلى عامل الدعم المادي والمساعدات العينية في المناطق ذات الغالبية الشيعية الزيدية بهدف استمالة قلوب أبناء هذه المناطق وحقق ذلك نجاحا ملموسا في تلك الأوساط، وفي إطار الأديولوجية الشيعية الاثني عشرية تمثل اليمن أيضا أهمية قصوى لإيران فالمذهب الجعفري الإمامي يرى أن اليماني الذي يظهر قبل الإمام المهدي، ويكون من أنصاره عند ظهوره يخرج من أرض اليمن.

المستوى السياسي يدرك المتابع للحالة اليمنية مدى تورط إيران في الداخل اليمني من خلال دعم الجماعات الحوثية، وزرع خلايا تجسس إيرانية ومحاولات تهريب أسلحة وفقا لتقارير وتصريحات يمنية رسمية قبل الثورة التي أطاحت بالرئيس علي عبدالله صالح وبعدها. كما قامت إيران بتأسيس ودعم قنوات تلفزيونية في سوريا ولبنان للمعارضة اليمنية.

وعلى الرغم من الأدلة الدامغة التي قدمتها الأجهزة الأمنية اليمنية حول التورط الإيراني في الشأن الداخلي اليمني إلا أن إيران، وكما هو متوقع، تنفي دائما مثل هذه الاتهامات وتكذبها.

وترى إيران أنه في حالة انتصار الشيعة وحركة أنصار الله، فإن حدثين مهمين سيقعان في اليمن: أولا، ستتم الموافقة على تأسيس إقليم مستقل في شمال اليمن يحظى بصلاحيات كافية وسينجم عن ذلك منطقة آمنة تماما وتكوين دولة شبه مستقلة للحوثيين وعاصمتها صعدة. ثانيا، سيتم تشكيل حكومة يمنية مركزية تحت نفوذ الشيعة وستتحول صنعاء إلى حليف قوي لإيران.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الاتجاه: هو كيف سيكون حجم الوجود الاستخباراتي الإيراني في اليمن إذا ما سيطرت الحركة الحوثية على الأوضاع في اليمن وتمكنت من الفوز بمنافذ مائية تسهل عملية التواصل مع الجانب الإيراني بعيدا عن أي مضايقات من الحكومة المركزية التي تعاني في الوقت الراهن من ضعف كبير في إدارة البلاد؟

المستوى التاريخي في تعاطيهم التاريخي مع الحالة اليمنية، يحاول الإيرانيون اللعب على مسارين رئيسيين، أحدهما يتمثل في التركيز على خلافات اليمن ومصر من جهة والمملكة العربية السعودية، من جهة أخرى، خاصة خلال النصف الثاني من القرن العشرين ومن نتائج ذلك الإطاحة بالإمامة في اليمن.

صور الإيرانيون هذا الحدث بالصراع بين الاتجاهات اليسارية والاشتراكية وبين القوى التي تطلق عليها إيران مسمى «القوى الرجعية»، إضافة إلى ذلك، يكرر الإعلام الإيراني أحداث التوتر في العلاقات السعودية اليمنية والمعركة التي حدثت بين القوات السعودية والحوثيين في جبل دخان على الحدود السعودية- اليمنية في ٢٠٠٩، بهدف توطيد وترسيخ العداء بين اليمن (ممثلا في الحوثيين) والسعودية، وتم تقديم الحركة الحوثية بأنها خرجت منتصرة على الجيش السعودي، وأن ذلك خلق تعاطفا بين شرائح

المجتمع اليمني مع الحركة الحوثية ومنحت الحوثيين بعدا قوميا.

أما المسار الآخر فتمثل في استدعاء العلاقة بين إيران واليمن عبر التاريخ، بدءا من العصر الأخميني (القرن السادس قبل الميلاد)، فالساساني، ومرورا بالدولة الفاطمية، وانتهاء بالبهلوية ثم الجمهورية الإسلامية، في هذا الإطار التاريخي بمساريه العربي والإيراني، كانت الفكرة الرئيسية تقديم إيران في ثوب الحريصة على دولة يمنية تقدمية ومستقلة والعزف على ما قدمته إيران من «خدمات إيجابية» لليمن عبر التاريخ، وفي المقابل، تصوير الدول العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية بالعدو الرجعي المتربص باليمن الذي يخشى ذكاء اليمنيين وقوتهم، وأن التطورات في اليمن سوف تنعكس بشكل أو بآخر على السعودية.

المستوى القومي ركز الإيرانيون في تعاطيهم مع الأوضاع في اليمن على البعد القومي العربي والصراعات بين القبائل العربية، ممثلة في عرب الجنوب وعرب الشمال، قبل الإسلام وبعده، وأكدوا على أن اليمن هي أصل العرب وأن الشعب اليمني أناس أذكياء، في محاولة لإثارة النعرات القبلية في اليمن تجاه القبائل العربية الأخرى في الجزيرة العربية، خاصة أن طهران تدرك مدى حساسية القبيلة وتاريخها والفخر بها في المجتمع اليمني على وجه التحديد.

أما فيما يتعلق بالبعد القومي الإيراني/ الفارسي، فتم التركيز على آثار الحضارة الفارسية في اليمن والدول المطلة على البحر الأحمر، والتواجد الثقافي والحضاري للإمبراطوريات الفارسية في تلك المنطقة، من خلال دغدغة المشاعر القومية لدى الشارع الإيراني الذي يحلم بإعادة تشكيل الإمبراطورية الساسانية التي تعد دائما حاضرة في الذهنية الفارسية والحلم المأمول تحققه. في هذا الاتجاه، نعلم جيدا أن إيران تعتمد المذهب الشيعي، مذهبا رسميا لها، وبالتالي أخذت المذهبية بعدا قوميا إلى جانب البعد الديني، لا سيما أن ذلك ينسجم مع فكرة تشكيل الدولة المهدوية (بقيادة الإمام الغائب، وفقا للمعتقد الشيعي الإمامي) والذي تشكل اليمن فيه جزءا مهما ومحوريا، كما أشرنا آنفا.

المستوى الجيو- سياسي على مستوى البعد الجيو- سياسي، تركز إيران على الموقع الاستراتيجي لليمن، وتنظر طهران بعناية فائقة لأهمية اليمن البحرية، من الناحية الجغرافية، ذلك لأن نسبة عالية جدا من الملاحة البحرية في العالم تمر عبر مضيق باب المندب وخليج عدن كما أن السفن في البحر الأبيض المتوسط تدخل هذا البحر عن طريق قناة السويس ومن ثم تصل الى مضيق باب المندب ومنها إلى بحر العرب.

وترى إيران أن أي تواجد لها في جنوب اليمن، يعني مزيدا من سيطرتها على مضيق هرمز والتواجد في بحر العرب بهدف رفع عدد الأوراق التي تستطيع من خلالها التلميح بإغلاق الممرات المائية لكمية هائلة من الطاقة العالمية القادمة من الخليج العربي، وكذلك تحظى اليمن بأهمية بالغة بالنسبة لإيران نظرا لمجاورتها لمنافس إيران الأول في المنطقة، المملكة العربية السعودية، وبالتالي فطهران تسعى من خلال دعمها للحركة الحوثية التي تتمركز على الحدود السعودية- اليمنية أن تضع قدما على مقربة من حدود هذا المنافس، ولعل بعض التصريحات الإعلامية وشبه الرسمية الإيرانية التي تحدثت عن أنه بسيطرة الحركة الحوثية على مساحات شاسعة في اليمن أصبحت إيران بمثابة الجار الجنوبي للسعودية، وبغض النظر أهداف إيران من وراء مثل هذه التصريحات إلا أنها تؤكد الأهمية الجيو- سياسية التي تمثلها اليمن للنظام الإيراني.

٦ عوامل أنجحت التوغل عملت إيران تبعا لاستراتيجية مدروسة بعناية، فهي تعلم أن السلطات اليمنية، ولاعتبارات عدة، قد لا توفر لها المساحة التي ترغب بحيازتها في اليمن، فتجاوزت المستوى الرسمي إلى العمل على المستوى الشعبي من خلال عملائها وعناصرها في الداخل اليمني، خاصة في صنعاء ومحافظات شمال اليمن.

عبر تسهيلات قدمتها القيادات الحوثية للجانب الإيراني، استطاعت طهران أن تخلق وجودا لها في المجتمع الزيدي، وقد أدى هذا التوغل، إضافة إلى التأثير

الإيديولوجي الاثني عشري على القيادة الحوثية الزيدية إلى دخول بعض الأدبيات الشيعية الإمامية إلى الزيدية ومن ذلك ما يلي:

١- شعار «الله أكبر.. الموت لأمريكا.. اللعنة على اليهود.. النصر للإسلام» على غرار الشعار الإيراني المعروف «الموت لأمريكا.. الموت لإسرائيل».

٢- دخول بعض الأناشيد الطائفية في مدارس التعليم العام في محافظة صعدة وغيرها.

٣- بروز بعض «رجال الدين» الذين ينالون من بعض الصحابة رضوان الله عليهم خاصة في احتفالات وطقوس عاشوراء.

٤- إعادة إحياء احتفالات عيد الغدير، وقد كان الزيديون قد تخلوا عنه لسنوات طويلة.

٥- الشعارات والمصطلحات المعادية لدول المنطقة، خاصة المملكة العربية السعودية.

٦- التركيز على القضية الفلسطينية في الخطب، واللعب على وتر النزاعات السياسية في الداخل اليمني بهذه القضية لأهداف سياسية بحتة، على النمط الإيراني.

إضافة إلى ذلك، ربما أن الجانب الخليجي قد ابتعد كثيرا عن المجتمع اليمني واكتفى بالعلاقة مع القيادات السياسية وشيوخ القبائل، الأمر الذي أوجد فجوة كبيرة بين طبقات المجتمع الدنيا ودول الخليج، خاصة في المحافظات الشمالية، وقد استغلت إيران هذا الفراغ عبر عملائها في اليمن وعملت على إشغاله واستثماره ضد دول المنطقة.

الحقيقة والوهم في فتوى خامنئي بتحريم إنتاج الأسلحة النووية

د. محمد السلمي- الشرق الأوسط ٢٠١٤/١١/٩

يتكرر بين الفينة والأخرى الحديث عن أن المرشد الأعلى والشخصية التي تتربع على رأس الهرم السياسي والديني في إيران، آية الله علي خامنئي، قد أصدر فتوى تحرم إنتاج واستخدام الأسلحة النووية وجميع أسلحة الدمار الشامل. وتحدثت وسائل الإعلام الإيرانية وبعض المواقع وبعض المسؤولين الغربيين عن هذه الفتوى وأنها تعد داعما أساسيا لوصول المفاوضات الجارية بين إيران ومجموعة ٥+١ إلى اتفاق شامل ودائم حول برنامج إيران النووي. يكرر الإيرانيون أن هذه الفتوى قد صدرت لأول مرة في عام ٢٠٠٣، وتم التأكيد عليها مجددا في عام ٢٠٠٥.

الترويج لهذه الفتوى المزعومة تجاوز الترويج الإعلامي الإيراني إلى الترويج لها من قبل مسؤولين إيرانيين مثل الرئيس السابق محمود أحمدي نجاد، ثم الرئيس الحالي حسن روحاني، في محافل دولية مثل لقاءات الجمعية العمومية للأمم المتحدة التي تعقد سنويا في نيويورك. من جانب آخر، وفي أحد لقاءاته بوزير الخارجية الدنماركي ستيغ مولر، أكد روحاني أن الأخذ بفتوى خامنئي «أكثر أهمية بالنسبة إلينا من بنود معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية والبروتوكول الملحق بها». وأوضح روحاني أن فتوى المرشد تحرم إنتاج وتخزين واستخدام الأسلحة النووية، و«الفتوى في الجمهورية الإسلامية قانون ملزم»!!

وعلى مستوى أقل، يروج بعض الإيرانيين في فريق التفاوض مع الغرب، ومن بينهم الدكتور حسين موسويان، المتحدث السابق باسم المفاوض النووي الإيراني، لضرورة أخذ فتوى خامنئي كضمان لعدم إنتاج إيران للسلاح النووي. يقول موسويان في تصريح له لأحد المواقع الألمانية حول ضرورة التوصل إلى اتفاق بين إيران والقوى العظمى: «يوجد فرص واقعية للخروج من الأزمة، ومنها إمكانية الاستفادة من الفتوى الدينية التي أعلنها آية الله علي خامنئي، المرشد الأعلى لإيران، والتي تحرّم أسلحة الدمار الشامل.»

بل إن الأمر تجاوز الجانب الإيراني إلى الأميركي، حيث أكد على مدى أهمية هذه الفتوى الرئيس الأميركي الحالي باراك أوباما في مراحل التفاوض مع إيران، وخلال كلمته في الجمعية العمومية للأمم المتحدة في عام ٢٠١٣، زاعما أن المرشد الأعلى في إيران، علي خامنئي، «قد أصدر فتوى ضد تطوير الأسلحة النووية». وقد كرر أوباما هذا الادعاء بعد ذلك بثلاثة أيام في البيت الأبيض.

وقبل أيام جاء الترويج لهذه الفتوى من جانب «رجال دين» أميركيين، فقد دعا الأساقفة الأميركيون

الكاثوليك المفاوضين إلى عدم الاستهانة بفتوى مرشد الجمهورية الإسلامية حول الأسلحة النووية. ويأتي هذا الموقف بعد زيارة غير مسبوقة قام بها وفد من مؤتمر الأساقفة الكاثوليك إلى مدينة قم للقاء زعماء روحيين من أجل ردم الهوة بين إيران والغرب.

الحقيقة المرة هي أن خامنئي لم يصدر هذه الفتوى إطلاقا، ولا يوجد ما يثبت ذلك إلا ما يروّج له الإعلام الإيراني، ولم يقدم النظام الإيراني أو غيره ما يثبت صدور هذه الفتوى. وحتى الآن، يرفض الأوروبيون قبولها، وتحدثت بعض التقارير الصحافية عن أن المستشار القانوني في الاتحاد الأوروبي تقدم بطلب رسمي للنظام الإيراني في عام ٢٠٠٥ لتقديم نسخة من الفتوى، ولكن من دون جدوى.

حسنا، ماذا عن موقع خامنئي الشخصي على شبكة الإنترنت؟ لماذا لم يرد ذكر للفتوى؟ عدم ذكر للفتوى على مواقع الإنترنت له بالكاد يدحض كل الأدلة الأخرى للفتوى، وأن التفكير خلاف ذلك مجرد فكرة سخيفة. هل يعقل أن ينشر خامنئي فتاوى أقل أهمية على موقعه الشخصي على الإنترنت ويتجاهل هذه الفتوى رغم الشكوك الكثيرة التي تثار حول حقيقة وجودها؟ يعتقد النظام الإيراني، على ما يبدو، أن الإشارات المتكررة لهذه الفتوى المزعومة سوف تجعل قبولها كحقيقة لا تقبل النقاش أو التشكيك بصحة وجودها.

دعونا نتجاوز الفتاوى المزعومة التي قيل إنها صدرت في عام ٢٠٠٣ أو التأكيد عليها في عام ٢٠٠٥، إلى تاريخ قريب وحدث له علاقة كبيرة بهذا الموضوع. على مدى يومين (١٧ - ١٨ أبريل/ نيسان ٢٠١٠) نظمت إيران «المؤتمر الدولي الأول لنزع وحظر انتشار الأسلحة النووية» الذي أقيم في العاصمة الإيرانية طهران، وشارك فيه ممثلو بعض الدول الإقليمية والدولية. بهذه المناسبة، بعث المرشد الأعلى في إيران آية الله علي خامنئي بكلمة إلى المشاركين في المؤتمر قال فيها ما نصه: «إن الأسلحة النووية وجميع أسلحة الدمار الشامل تعد تهديدا للبشرية، وإن استخدام هذه الأسلحة محرم». بعبارة أخرى، النص يقول إن خامنئي لم يحرم تصنيع هذه الأسلحة وإنتاجها، بل حرم استخدامها، وهناك فرق كبير بين العبارتين.

العجيب في الأمر أنه عندما طلب وفد الأساقفة الأميركيين من الجانب الإيراني نص هذه الفتوى، ردوا بأنه ليس هناك نص مكتوب للفتوى، وهو إعلان عام ومحترم جدا لدى رجال الدين الشيعة والإيرانيين بشكل عام. حسنا، لنقبل بعدم وجود نص مكتوب، ومن الطبيعي جدا أن تكون هذه الفتوى صدرت في كلمة له صوتية أو متلفزة، وبالتالي فالسؤال المطروح: أين هذا التسجيل؟ ولماذا لا ينشر على الإنترنت والموقع الشخصي للولي الفقيه؟ وأخيرا لنفترض وجود هذه الفتوى التي يعتبرها الإيرانيون أمرا ملزما ومطمئنا للغرب ولكن، لسبب أو لآخر، قرر خامنئي، أو من يأتي بعده، نقض هذه الفتوى بفتوى أخرى، وهذا أمر غير مستبعد، هل سيقول الغرب إن على إيران الالتزام بالفتوى الشرعية التي جعلتنا نقتنع بسلمية برنامجها النووي وعدم رغبتها في إنتاج السلاح النووي؟ وهل فعلا الإسلام يحرم ذلك؟ ها هي باكستان تمتلك هذا السلاح وهي إحدى كبرى الدول الإسلامية وجارة إيران من الشرق!

الواقع أن الترويج لهذه الفتوى أو التصديق بجديتها مجرد أضحوكة كبيرة تتوافق مع توجهات دول غربية وتمهد، فيما يبدو، لتسوية غربية - إيرانية حول برنامج طهران النووي، وأن التركيز على هذه الفتوى المزعومة مجرد تقديم لذلك وإخراج الاتفاق تحت غطاء التزامات دينية من الجانب الإيراني، مع ضرورة الأخذ في الاعتبار أن إيران لا تزال ترفض دخول مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية لبعض القواعد العسكرية المشكوك بأنشطتها، ومن بين ذلك موقع «بارشين» بالقرب من طهران.

واشنطن تبيع الوهم لحلفائها في الملف السوري

علي حسين باكير- العرب القطرية ٢٠١٤/١١/٤

أصدر البيت الأبيض خلال السنوات الماضية العديد من التصريحات التي تفيد بموافقة واشنطن على دعم المعارضة السورية المسلحة (الجيش الحر)، لكن شيئاً منها لم يتحقق فعلاً حتى الآن. بل على العكس، فقد كان الموقف الأميركي متشدداً في بداية

الثورة السورية في متابعة أي عمليات تسليح نوعي تقوم/ أو قد تقوم بها بعض الدول لدعم المعارضة السورية.

والحقيقة أن واشنطن كانت قد قامت مراراً - بالتعاون مع إسرائيل ودول أخرى- في إفشال وصول شحنات أسلحة إلى المعارضة السورية لاسيما خلال السنة الأولى والثانية للثورة السورية، وقد أرسلت الإدارة الأميركية مرات عديدة رسائل تتضمن تحذيرات وحتى تهديدات مباشرة لبعض الدول لتمنعها من القيام بتسليح الجيش الحر لاسيما عندما يتعلق الأمر بأسلحة من الممكن أن تمكّن هذه المعارضة من كسر تفوق النظام الجوي وتعمل على تغيير موازين القوى على الأرض لصالحها.

وفي كل خطوة كان البيت الأبيض يتقرب فيها من إيران في المفاوضات النووية أو يتزايد فيها بطش النظام السوري تجاه المدنيين، كان أوباما يبيع حلفاءه في المنطقة بعض الوعود والكلام، ويجدد الحديث عن دعم المعارضة السورية المسلحة المعتدلة.

بعد المجزرة الكيماوية في أغسطس ٢٠١٣، سمعنا تأكيدا من البيت الأبيض على قرار تقديم دعم «غير قاتل» للمعارضة، تبيّن فيما بعد أنه عبارة عن مجموعة من الأحذية والخوذ وبعض مستلزمات الإسعاف الأولية وربما بعض وسائل الاتصال، وهي أدوات غير كافية حتى لمن يقوم برحلة صيد وليس مواجهة طائرات وصواريخ سكود وأسلحة كيماوية!

ومع ذلك، فقد انتهى برنامج الدعم المزعوم هذا في ديسمبر ٢٠١٣ بإغلاق الوحدة الأميركية المسؤولة عن تأمين وإيصال المساعدات للجيش الحر بسبب مشاكل في التمويل، علما أنّ المساعدات «غير القاتلة» التي أمنتها لم تتجاوز الـ١٥ مليون دولار فقط!

في يونيو ٢٠١٤، قرر أوباما طلب مبلغ ٥٠٠ مليون دولار لدعم المعارضة المسلحة المعتدلة، لكن هذا المبلغ لم يصرف إلى الآن! ومع التحضير لانطلاق حملة «العزيمة الصلبة» ضد تنظيم الدولة «داعش»، عاد أوباما من جديد لاستخدام ورقة «دعم المعارضة المسلحة المعتدلة»، ووافق على برامج دعم وتسليح المعارضة المسلحة المعتدلة، وقامت عدّة دول عربية بالإضافة إلى تركيا بالتزام تنفيذ الدعم ضمن الخطة الأميركية.

لكنّ الحقيقة أنّ خطوة أوباما هذه ليست سوى مناورة، فهو احتاج إلى تسويق هذا البرنامج مقابل الحصول على دعم هذه الدول للحملة من جهة، ولكي يبدو أنه يقوم بدعم المعارضة السورية في الوقت الذي يتغاضى فيه فعلاً عن نظام الأسد الذي تقوم الحملة العسكرية بتقويته عملياً على الأرض.

وفيما يصرح البيت الأبيض بهذا الدعم للمعارضة المسلحة المعتدلة، يقوم موضوعيا بإفراغه من مضمونه. فعلى سبيل المثال، أنيطت مهمة بناء جيش جديد للثوار المعتدلين ضمن برنامج التدريب والتسليح الأميركي للجنرال «مايكل ناجاتا» مسؤول قيادة القوات الخاصة الأميركية، لكن البيت الأبيض لم يسمح له بالقيام بذلك عبر استغلال أو تجنيد الثوار المعتدلين الموجودين فعلياً على الأرض، مما يعني تقليص إمكانية نجاح مهمته واضطراره إلى البحث عن هؤلاء في مخيمات اللجوء في البلدان المجاورة.

أكثر من ذلك، فإن برنامج التدريب والتسليح سيتضمن تدريب وتسليح ٥ آلاف عنصر فقط كل سنة! (مع بقاء الفيتو على الأسلحة النوعية)، وهذا يعني أن بناء مجموعة من ١٥ ألف على سبيل المثال ستتطلب ثلاث سنوات، علما أن الأسد يستغل الحملة الحالية للتقدم على الأرض، ومن غير المعروف أصلا - في حال بقي الوضع على ما هو عليه الآن- إذا ما كان سيكون هناك معارضة في سوريا في ذلك الوقت أو حتى مناطق تابعة للمعارضة!

وحتى إذا ما افترضنا نظريا أن التحالف نجح في تدريب وتسليح ١٥ ألف من هؤلاء في سنة واحدة، فإن الجنرال جون آلان منسق عمليات التحالف الدولي كان قد صرّح بشكل واضح أن «مهمّة هذه القوة لن تكون محاربة الأسد وإنما ستساعد على الوصول إلى حل سياسي»! وربما استخدامها فعليا ضد تنظيم «داعش» فقط على اعتبار أنّ الرئيس أوباما كان قد قال الشهر الماضي: إن الهدف من برنامج التدريب والتسليح هو «تقوية المعارضة لتكون أفضل موازن للتطرف»!

الرئيس أوباما كان قد وعد سابقاً المعارضة السورية ومجموعة أصدقاء سوريا وحلفاءه في المنطقة بمزيد من الدعم للملف السوري لكنّه كان يفشل في كل مرّة في الإيفاء بوعوده لدرجة أن عدداً من المسؤولين

الأميركيين باتوا يؤمنون تماماً بأنّ أوباما لا يريد حقيقة القيام بأي شيء لصالح المعارضة، وأن وعوده الحالية لن تؤدي إلى أي تغيير، فهي أشبه ببيع الوهم لحلفائه في المنطقة.

«الجهاد الإسلامي» هل تصبح حوثية فلسطين؟

أسامة شحادة جريدة الغد ٢٠١٤/١١/٧

يقف المواطن العربي والمسلم اليوم مذهولاً بعد احتلال الحوثيين أو (أنصار الله) لكثير من محافظات اليمن وليس العاصمة صنعاء فحسب، وذلك بعد سبع أو ثماني حروب عسكرية مع الدولة، وعدة معارك مع القبائل والتيارات اليمنية المخالفة لها، وسبب الذهول هو السلاسة التي تمّ بها هذا الاحتلال الحوثي لليمن، وبقاء الجميع يتفرج سواء مؤسسات الدولة اليمنية من الرئاسة والحكومة والجيش وقوى المعارضة، أو من دول الجوار والعالم، أو جامعة الدول العربية والأمم المتحدة.

وسبب آخر لذهول المواطن العربي والمسلم هو الموقف الرسمي العربي والإقليمي والعالمي من الجماعات الإسلامية السنية المنافسة سواء بالعمل السياسي كجماعة الإخوان المسلمين في مصر وتونس أو بالعمل العسكري كتنظيم داعش والنصرة في سوريا والعراق أو القاعدة في اليمن أو الثوار في ليبيا وغيرهم، هذا الموقف الذي يتشكل من حرب إعلامية صريحة وقذرة وقمع وبطش أمني غير مسبوق وحرب عسكرية معلنة، بينما الجماعات الشيعية السياسية والعسكرية التي تمارس نفس الممارسات في الدول العربية والعالمية، معترف بها ويغض الطرف عن طائفيتها وإجرامها، ومقبول التواصل معها عربيا وعالميا وعلى كل الأصعدة سواء كانت جماعات معارضة أو مشاركة في الحكم أو مستولية عليه!!

ومَن تابع مسار نشأة وتطور الحوثيين منذ سنة ١٩٩٢ يجد تشابها كبيرا مع حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ويمكن أن نعدد من أوجه الشبه أن الجهاد الإسلامي وجماعة الحوثيين يعلنان تحالفهما مع النظام الإيراني والقبول بالفكر الشيعي الإمامي في مفارقة لجذور الجهاد السنية أو جذور الحوثيين الزيدية، وإذا كانت علاقة الحوثيين بإيران والتشيع واضحة للكثيرين، فإن علاقة الجهاد بإيران والتشيع تحتاج إلى تذكير القارئ بعدد من الحقائق منها:

أن مؤسس حركة الجهاد الدكتور فتحي الشقاقي كان من أوائل الفلسطينيين والإسلاميين الذين أعلنوا انبهارهم بمشروع الخميني والسير على خطاه، ولذلك قام بتأليف كتاب «الشيعة والسنة ضجة مفتعلة»، وكتاب «الخميني والحل الإسلامي البديل» منذ صعود نجم الخميني في نهاية السبعينيات، وقد شاركه هذا المسار الرئيس الحالي للحركة الدكتور رمضان شلح، الذي نسخ مسودات هذه الكتب وقدمها للطباعة.

ولم يقف الأمر لدى الشقاقي وشلح والحركة عند حد التقاطع السياسي والمعروف بمصطلح (التشيع السياسي)، وتمجيد الخميني وخليفته خامنئي واعتبارهما القدوة والنموذج للقيادة الإسلامية المطلوبة، بل وجدنا قطاعات في الحركة وقيادات ومؤسسات تابعة لها تعلن تشيعها العقدي، مثل هشام سالم وعبدالله الشامي وعمر شلح وأحمد حجازي، وهم من قيادات الحركة في غزة، أو بعض ما ينشر في جريدة الاستقلال وإذاعة القدس التابعة لهم من ترديد لسبّ الصحابة والطعن فيهم.

وبخلاف حركة حماس التي تمردت على الرؤية الإيرانية المعادية للثورة السورية، حيث آثرت قيادة حماس مغادرة دمشق وعدم تأييد إجرام بشار الأسد ضد الشعب السوري، فإن حركة الجهاد بقيت في العباءة الإيرانية والسورية، وأعلنت عداءها للثورة السورية، وأصبح رمضان شلح وقيادات الحركة ضيوف مؤتمرات الصحوة الإسلامية في طهران والفضائيات السابحة في المدار الإيراني.

ومؤخرا وعقب العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة وبقاء إيران وحزب الله متفرجين على ضرب غزة في نوع من التشفي بحماس، حتى صرح عدد من قادة حماس مثل موسى أبو مرزوق ضد موقف إيران وحزب

الله وزعيمه حسن نصر الله، بأن غزة لا تحتاج نصرة ودعما بالهاتف! برغم كل هذا نجد حركة الجهاد تقوم بدعاية ضخمة لإيران في الفضائيات الإيرانية وفي داخل غزة من خلال لوحات إعلانية كبيرة تشكر فيها إيران على دعم غزة! في تكرار لما فعلته قبل عدة سنوات من تلميع لإيران، وكأن مهمة شلح وإخوانه اليوم هي إعادة تبييض صفحة إيران في الأوساط الفلسطينية والعربية والإسلامية.

بعد هذه الحقائق السريعة عن علاقة الجهاد القديمة والوطيدة والمستمرة مع إيران، نعود لمواصلة الحديث عن أوجه الشبه بين حركة الجهاد والحوثيين.

منها أن الجهاد و«الحوثيين» برغم انخراطهما في المحور الإيراني، إلا أن الأنظمة العربية لا تقاطعهما وتعاديهما بحدة مقاطعة الإخوان وحماس برغم أن المبرر لهذه المقاطعة والعداء كونهما يتبعان المحور الإيراني.

ومنها أن الجهاد والحوثيين يشعلون حربا كل حين ودون مبرر حقيقي إلا رغبات ومخططات إيران، ومع هذا لا يتم تجريمهم كما حصل مع حماس، لا من قبل السلطة السياسية ولا من قبل النظام العربي، وبرغم كل هذا نجد أن الجهاد والحوثيين لا يُستهدفون من إسرائيل وأمريكا على غرار استهداف حماس في فلسطين من قبل إسرائيل، والقاعدة في اليمن من قبل أمريكا.

ومنها أن الحوثيين والجهاد يعتدون بالضرب والاغتيال والقتال العسكري على مخالفيهم وخاصة من يحذرون من تبعيتهم لإيران وتشيعهم، ولا يتم معاقبتهم أو كف عدوانهم وضمان أن لا يتجدد.

ومنها أنهم توجهوا مؤخرا للمشاركة في الفعاليات السياسية والطلابية أكثر، لكن، وهم يضعون السلاح على الطاولة، فإما أن تقبل مطالبهم وإما أن يقلبوا الطاولة، فالحوثيون وقعوا على ميثاق السلم ولكنهم لا يزالون يقتحمون المحافظات اليمنية بحجة حرب القاعدة، والجهاد يدعون للحوار الوطني لكنهم يرفضون دخول اللعبة السياسية بالكامل.

ومنها أن الحوثيين والجهاد يستغلون الصراع بين النظام الحاكم والإقليمي ومنافسيه وخصوصا الإخوان لتقوية نفوذهم وانتشارهم.

الخلاصة: الجهاد الإسلامي والحوثيون مجموعة محلية شذت عن السياق العام لمجتمعاتها وانساقت خلف السياسة الإيرانية والفكر والعقيدة الشيعية، وأصبحت كيانا منفصلا عن التيار العام ويراعي المصالح الإيرانية على حساب المصالح الوطنية، ثم بسبب الولاء الفكري والسياسي بداية ثم التبعية المالية أصبحت الحركتان أدوات للسياسة الإيرانية في المنطقة.

وبفضل التوجيه والدعم المالي والإحتضان الإيراني وإرسال الخبراء والمستشارين لهم، تم تقوية كيان المجموعتين وتوسيع دائرة نفوذهم، خاصة عن طريق تكثيف حضورهم الإعلامي عبر فضائية فلسطين اليوم التابعة للجهاد، وفضائية المسيرة التابعة للحوثيين.

ومن خلال براعة إيران في حماية ورعاية وكلائها في المنطقة تجاوز الجهاد والحوثيون كثيرا من المطبات والمضائق التي وقعوا فيها، كما أن براعة إيران في الاستفادة من تناقضات الخصوم مكنت الحوثيين والجهاد من الاستمرار في التقدم في ظل الخلاف الإخواني – الحماسي مع السلطة في اليمن وفلسطين والمنطقة العربية.

اليوم وصل الحوثيون لقمة الهرم بعد التحالف مع علي عبدالله صالح الرئيس السابق والذي تفاهم مع الخليج على التغاضي عن تقدم الحوثيين في اليمن للقضاء على حزب الإصلاح، لكن الحوثيين وإيران غدروا بعلي صالح الذي غدر بالخليج، وكان الرابع هم الحوثيين وإيران.

وفي غزة نجد نظام السيسي يتعاطى مع الجهاد بأريحية نكاية في حماس والإخوان، ونجد الجهاد تتمدد في الفراغ القائم بين السلطة والحكومة المقالة، وكلا الطرفين يخطب ودها، لكن الجهاد تعمل ومن خلفها إيران على بناء وضعها الخاص، عبر إحياء الكتلة الطلابية التابعة لها في الجامعات تمهيداً لخوض انتخابات الطلبة، وحرصها على البقاء على مسافة من حماس، لتستفيد من العداء العربي الرسمي تجاهها.

وبعد هذا كله، هل ستطول المدة التي نرى فيها حركة الجهاد تسيطر على غزة، وترفرف فيها أعلام وصور إيران وقادتها كما شاهدنا في صنعاء؟؟